الشعب

تصدر عن الوكالة الموريتانية للأنباء

عدد 066 يناير 2026 السعر 100 أوقية

مدائن التراث بوادان..

صيانة موروث وتعزيز مواطنة

الشعب

مجلة شهرية تصدرها الوكالة الموريتانية للأنباء (وم أ)

مدير النشر، المدير العام للوكالة الموريتانية للأنباء:
محمد تقي الله الأدهم

مدير التحرير:
أحمد محمدن بارك الله

رئيسا التحرير:
ـ د. أحمدو ولد آكاه
ـ حواء بنت سعيد

الكاتبان العامان للتحرير:
ـ أحمد ولد الشيخ الرباني
ـ الطالب ولد ابراهيم

رئيس دسك الإخراج:
عبد الرحمن ولد الداه
E-mail: abadd11@gmail.com
هاتف + واتساب: 26438981

إينفوغرافيا:
أحمد ولد أحمد اعل
هاتف: 37073607

المصور:
الحضرامي ولد محمد الحسن

الوكالة الموريتانية للأنباء:
المقر الرئيسي: لكصر: 22 – 006
صندوق البريد: 371 – 467 نواكشوط
هاتف: 45252940 /45252970
فاكس: 45255520
البريد الإلكتروني:
chaabrim@gmail.com
amiakhbar@gmail.com

الإدارة التجارية:
هاتف: 45252777
البريد الإلكتروني:
dgsami22@gmail.com

الوكالة الموريتانية للأنباء
Agence Mauritanienne d'information

في هذا العدد

قراءة في مضامين خطاب رئيس الجمهورية بوادان:

رباط المواطنة.. من النداء إلى الأداء

4

وزير الثقافة في مقابلة مع «مجلة الشعب»:

نبني استراتيجية تجعل من كل موقع أثري «منارة» ومن كل عنصر ثقافي «ثروة»

6

المكتبات الأهلية في وادان:

مخطوطات عتيقة ووثائق نادرة

25

افتتاحية

تثمين التراث والتنمية المحلية

شكّلت الدورة الرابعة عشرة لمهرجان مدائن التراث، كما الدورات السابقة، مناسبة لتجديد الالتزام العميق بالقيمة التاريخية والثقافية والعلمية والاجتماعية والجمالية والاقتصادية لمدننا العتيقة. كما مثّلت تجديدًا للتعلّق بماضيها، وبآثارها وبقاياها وموروثها المادي واللامادي، واعترافًا بالدور البارز الذي لعبته في ترسيخ هويتنا الجماعية وتعزيزها.

وفي هذا الإطار، دعا فخامة رئيس الجمهورية، السيد محمد ولد الشيخ الغزواني، في خطابه الافتتاحي بمدينة وادان خلال هذه الدورة، مجددًا إلى ضرورة التحرر من وهم التقسيمات الاجتماعية المصطنعة التي تغذي أحكامًا مسبقة غير عقلانية وصورًا نمطية مغلوطة، من شأنها إضعاف الوحدة الوطنية وتهديد التماسك الاجتماعي.

إن الديناميكية التي تحرّك مسار "مهرجانية" تراثنا لم تعد تقتصر على التثمين الصرف للمواقع المعروفة بقيمتها التاريخية أو المعمارية أو الأثرية، ولا على التظاهرات الاحتفالية ذات الطابع الفلكلوري فحسب، بل أصبحت تقوم على رؤية أشمل تأخذ في الحسبان جوهر الرسالة التي تنقلها هذه المدن العتيقة إلى الأجيال الحاضرة والمقبلة، والدروس التي تقدّمها لها. ويشكّل نموذج وادان وبقية مدن التراث اليوم مصدر إلهام لا ينضب، لا غنى عنه في عالم تتسارع فيه وتيرة ذوبان الثقافات المحلية بفعل العولمة المتسللة ومعايير التوحيد.

ويُعدّ مهرجان مدائن التراث، في هذا السياق، حدثًا منفتحًا يكرّس الإحساس بالتاريخ والهوية والانتماء، كما يمثّل لحظة تأمل جماعي لاستحضار القيم المؤسسة لهذه المدن.

وإلى جانب هذا الاحتفاء بالتراث، انطلقت منذ سنة 2019 ديناميكية تنموية متواصلة لإحياء المواقع من خلال أنشطة "في عين المكان"، تمثلت منذ نسخة وادان دجمبر 2021 في المكوّنة التنموية التي باتت منذ تلك الدورة تلازم كل دورة من دورات المهرجان. وتهدف هذه المكوّنة إلى تحسين أداء الخدمات الأساسية عبر بناء وترميم البنى التحتية، وتعزيز الخدمات العمومية، وتمويل المشاريع المدرة للدخل، والقيام بتدخلات لدعم القطاع الزراعي ومكافحة التصحر، ودعم المنشآت السياحية، فضلًا عن العديد من التدخلات الأخرى ذات الأثر الاقتصادي والاجتماعي الواسع.

ولهذا الغرض، عبّأت السلطات العمومية موارد معتبرة لدعم مدينة وادان، التي لا يزال وجهها يتغيّر، مهرجانًا بعد مهرجان، لتقدّم صورة مدينة أكثر قابلية للعيش، مدينة مرحّبة، منفتحة على متطلبات الحياة الحضرية، لكنها في الوقت ذاته متجذّرة بعمق في أصالتها وقيمها.

ومع ذلك، ومهما بلغ حجم الإنجازات، فإن استدامة هذه المدينة، كما هو حال البلاد بأسرها، ستظل مرهونة بقدرتنا على استيعاب التحديات الراهنة، وعدم التفريط في قيمنا، ومواصلة بناء مصيرنا المشترك.

وفي هذا الإطار، حذر رئيس الجمهورية في وادان، خلال خطابه إلى الأمة، من النزاعات المتطرفة والانغلاق الهويّاتي والحسابات قصيرة النظر، معتبرًا إياها سلوكيات مدمّرة تتعارض مع مبدأ أولوية ولاء المواطن للدولة ومؤسساتها، مؤكدا في هذا السياق أن الدولة الحديثة لا تقوم، في جوهرها، إلا على مفهوم المواطنة، بما يقتضيه من مساواة في الكرامة والحقوق والواجبات، وما يتطلبه من رفض للتعصبات القبلية والطائفية والفئوية، المناقضة لجوهرها.

وإذ أشار إلى أن تقدم البلاد وازدهارها مرتبطان ارتباطًا وثيقًا بقدرتنا على تعزيز رابطة المواطنة وحمايتها من التأثيرات السلبية لمختلف الولاءات الأخرى، فإنه يجدّد بذلك رؤيته القائمة على ضرورة ترسيخ الوحدة الوطنية وتعزيز التماسك الاجتماعي، باعتبارهما الصناعة الوحيدة للصمود في مواجهة التحديات المتعددة.

وإلى جانب مشاعر الارتياح للنجاح الباهر الذي حققه المهرجان، يتعيّن علينا أن نتأمل بعمق هذه المرتكزات الأساسية لبقاء كل أمة، وأن نستمد من روافد تراثنا الوطني ما يغذي طموحنا، وأن نحافظ، في جميع الظروف، على قدرتنا على الصمود ورفع رؤوسنا عاليا.

الشّعب

قراءة في مضامين خطاب رئيس الجمهورية بوادان:

رباط المواطنة.. من النداء إلى الأداء

بقلم: محمد الأمين سيدي بوبكر

«إنني لراسخ القناعة بأن بلدنا رهين، في بقائه وفي تقدمه وازدهاره، بقدرتنا على تعزيز رباط المواطنة وحمايته في وجه التأثيرات السلبية لمختلف الروابط الأخرى».

بهذه الاستنتاجات الواعية، ومن قلب مدينة وادان التاريخية، أطل فخامة رئيس الجمهورية، السيد محمد ولد الشيخ الغزواني، على الأمة الموريتانية ضحى التاسع عشر من ديسمبر 2025 في خطاب رصين، خلال افتتاح النسخة الرابعة عشرة من مهرجان مدائن التراث، لم يكتف فيه بتأصيل «نداء وادان» التاريخي الذي أطلق فخامته عام 2021، بل قدم خارطة طريق لصون المكتسبات، ووضع مسارا أخلاقيا وسياسيا لتحويل القيم إلى إنجازات، ورسم معالم مرحلة جديدة في مسار بناء الدولة الوطنية.

إن انتقال الخطاب الرئاسي من حيز «النداء» الذي شخص الاختلالات البنيوية، إلى واقع «الأداء» تجسد في جملة من الإجراءات الميدانية الجريئة، يمثل انعطافة حاسمة؛ حولت رباط المواطنة من مفهوم نظري إلى فلسفة حكم وضرورة وجود.

وقد جاء هذا التحول في سياق وطني بالغ الحساسية، حيث تتشابك تحديات اللحمة الاجتماعية مع استحقاقات التنمية.

فخطاب وادان الأخير، بما حمله من مضامين رصينة وتوجيهات دقيقة، لا يقرأ فقط في بعده الظرفي، بل يندرج ضمن رؤية متكاملة لإعادة تأسيس العلاقة بين الدولة والمجتمع، على قاعدة المواطنة بوصفها الرابط الأسمى والمظلة الجامعة التي تذوب فيها كل الفوارق والانتماءات.

لقد أعاد خطاب فخامة رئيس الجمهورية السيد محمد ولد الشيخ الغزواني، في وادان، الاعتبار لمفهوم المواطنة، عبر التأكيد على أن الدولة الحديثة لا تبنى على العصبيات والامتيازات الموروثة، بل على المساواة في الحقوق والواجبات، وشعور كل فرد بالانتماء إلى مشروع وطني مشترك.

وفي هذا الإطار، جاءت جملة من السياسات التي جسدت هذا التوجه، كإصلاح المنظومة الإدارية لتقريب الإدارة من المواطن، وإطلاق المدرسة الجمهورية لترسيخ قيم المساواة، وتوسيع مظلة التأمين الصحي لتشمل الفئات الهشة، فضلا عن إجراءات الدعم الاجتماعي والتحويلات النقدية وغيرها من الجهود الرامية إلى تقليص الفوارق وتمكين الفئات الأقل حظا.

لم يكتف فخامة رئيس الجمهورية السيد محمد ولد الشيخ الغزواني، في خطابه

الافتتاحي للنسخة الرابعة عشرة من مهرجان مدائن التراث بتعداد المنجزات، بل تجاوز ذلك إلى دعوة صريحة لتجديد العقد الاجتماعي، من خلال تحميل النخب – السياسية والفكرية والإعلامية – مسؤولية المشاركة الفاعلة في ترسيخ ثقافة المواطنة، وإحداث التحول الضروري في العقليات والمسلكيات، بما يضعف الولاءات الضيقة، ويعزز الشعور بالانتماء الوطني الجامع.

لقد بدا واضحا أن فخامة رئيس الجمهورية أراد من خلال خطابه بوادان أن يؤسس لمرحلة جديدة، تخرج فيها الدولة من منطق الاسترضاء الهش إلى منطق التمكين العادل، وأن تنتقل فيها من إدارة التنوع إلى توجيهه نحو إنتاج وحدة وطنية صلبة لا تنكر التعدد، بل تثمنه وتعتز به وتحتويه.

وهذا ما يتطلب، كما أكد فخامته أكثر من مرة، توافقا وطنيا صادقا، يعيد ترتيب الأولويات الوطنية حول المشترك، ويجعل من التماسك الاجتماعي خيارا استراتيجيا لا مجال فيه للمزايدة أو الاستغلال.

وعلى ضوء هذا التصور، فإن رباط المواطنة لم يعد مجرد شعار يرفع في المواسم السياسية، بل غدا مبدأ ناظما لكل السياسات العمومية، ومحددا أساسيا في التوجهات الاستراتيجية الرامية إلى تحديد هوية الدولة التي نطمح إليها جميعا؛ دولة وطنية جامعة، تسودها قيم الشرف والعدل والإخاء.

إن القراءة المتأنية لمضامين خطاب فخامة رئيس الجمهورية السيد محمد ولد الشيخ الغزواني بوادان تكشف بوضوح النقاب عن لحظة صدق سياسي، يعيد فيها صاحب الفخامة ربط الفعل التنموي بالسؤال الوجودي حول شكل الدولة ومكانة المواطن.

ولعل الرهان الأكبر الذي طرحه فخامة رئيس الجمهورية، في خطابه لا يتعلق فقط بما تحقق، بل بما يمكن تحقيقه إذا ما توافر الوعي الجمعي، والتكامل بين الدولة والمجتمع، من أجل صيانة هذا الرباط الوطني المقدس «رباط المواطنة».

وزير الثقافة في مقابلة مع «مجلة الشعب»:

نبني استراتيجية تجعل من كل موقع أثري «منارة» ومن كل عنصر ثقافي «ثروة»

أكد معالي وزير الثقافة والفنون والاتصال والعلاقات مع البرلمان السيد الحسين ولد مدو، أن الاستراتيجية التي تبناها قطاعه تعمل على جعل كل موقع أثري «منارة» ومن كل عنصر ثقافي «ثروة».

وأضاف معاليه، في مقابلة مع مجلة الشعب الشهرية، أن الدولة، بتوجيه من فخامة رئيس الجمهورية، مستمرة في استثماراتها في مجال التراث، لكن هذا الجهد يحتاج إلى «وعي مجتمعي» يحتضنه.

وقال إن القطاع بصدد تطوير النسخ القادمة من مدائن التراث، لترسيخ «المؤسسية» في المهرجان، وتوسيع قاعدة المستفيدين، وتوطيد المكونة التنموية وتعزيز الشراكات الدولية.

وفيما يلي نص المقابلة:

الشعب: بداية هل لكم، معالي الوزير، أن تحدثوا القارئ الكريم عن معالم استراتيجية قطاع الثقافة لإحياء مدائن التراث (وادان، شنقيط، تيشيت، ولاته)؟

معالي الوزير: إن استراتيجية قطاعنا لإعادة الألق لمدائننا التاريخية هي تجسيد أمين للرؤية الحضارية لفخامة رئيس الجمهورية، السيد محمد ولد الشيخ الغزواني، الذي يعتبر التراث «الذاكرة الحية» و«الرافعة التنموية» في آن واحد. وهي الرؤية التي تعمل حكومة معالي الوزير الأول، السيد المختار ولد اجاي، على تنزيلها على أرض الواقع وفق مقاربة تنموية متوازنة.

لقد انتقلنا من مفهوم «الحفظ فقط» إلى «التثمين النشط»، حيث استثمرت الدولة منذ إطلاق صاحب الفخامة المكونة التنموية بهذه المدن أكثر من عشرين مليار أوقية قديمة لإعادة الحياة في تلك المدن باعتماد مقاربة نسقية تربط بين صيانة الموروث العالمي (وادان، شنقيط، تيشيت، ولاتة) وبين خلق بدائل اقتصادية للسكان، ترقية لهذه المدن وتثبيتا للساكنة وتعزيزا للجاذبية السياحية وتحويلا لمراكزنا التراثية إلى ورشات تنموية مفتوحة للتكوين والتحسيس، لخلق وعي لدى المواطن بأهمية تراثه وابتكار أنجع السبل لحمايته وصيانته وتثمينه.

الشعب: احتضنت مدينة وادان التاريخية هذا العام النسخة الرابعة عشرة من مهرجان مدائن التراث، ما الذي أضافته هذه النسخة لسابقاتها وما الجديد الذي قدمته؟

معالي الوزير: ما أكد عليه فخامة رئيس الجمهورية، السيد محمد ولد الشيخ الغزواني، في وادان هو أن خيار ترسيخ رباط المواطنة لم يكن يومًا شعارًا ظرفيًا، بل توجّهًا ثابتًا منذ توليه مقاليد الحكم، باعتباره الأساس الذي تُبنى عليه علاقة الدولة بالمواطن، والضامن الحقيقي للوحدة الوطنية والانسجام الاجتماعي. ومن هذا المنطلق جاء مهرجان مدائن التراث، لا باعتباره تظاهرة احتفالية فحسب، بل كأداة عملية لصون الذاكرة الوطنية

وتحويل التراث إلى رافعة تنموية تُثبت السكان في مواطنهم وتحفّز الصناعات الثقافية، في احترام لخصوصية هذه المدن وروحها التاريخية.

النسخة الرابعة عشرة عكست هذا التحول بوضوح، وتم خلالها ترفيع جميع المكونات التنموية الثقافية العلمية والتنظيمية، إذ انتقل المهرجان من رمزية الاحتفاء إلى واقعية الإنجاز، ومن إعلان النيات إلى أعمال ملموسة على الأرض، وهذا لم يكن ليتحقق لولا الإرادة الراسخة لصاحب الفخامة، والانخراط الوطني الواسع والروح الجماعية التي طبعت أيام المهرجان، حيث عملت السلطات الإدارية والمنتخبون والفاعلون الثقافيون والمجتمع المحلي في انسجام، بما يؤكد أن حماية الذاكرة مسؤولية مشتركة، وأن الاستثمار في الثقافة هو في جوهره استثمار في الاستقرار والوعي والمستقبل.

وخلال هذه المناسبة، جدّد فخامة رئيس الجمهورية التأكيد على مضامين خطاب وادان التاريخي، خاصة ما يتعلق بقيم المواطنة والعدالة الاجتماعية.

وعلى المستوى التنموي، شهدت هذه الدورة تنفيذ تدخلات نوعية ومتعددة وإقامة إنشاءات نوعية شملت تعزيز خدمات الصحة والتعليم والطاقة والمياه، والاهتمام بالواحات باعتبارها ذاكرة خضراء ونمط عيش متجذر في تاريخنا، وتوزيع عشرات المضخات وآلاف السياج وتمويل عشرات المشاريع المدرة للدخل وتقديم مئات التوزيعات الاجتماعية ودعم النزل والتعاونيات النسوية والشباب وذوي الاحتياجات الخاصة، إضافة إلى إنشاء القرية التراثية الثقافية التي وفرت فضاءً حيًا للتفاعل بين التراث والحياة اليومية وتدشين محطة للإذاعة كما تم دعم المساجد والمحاظر وترميم المدينة القديمة وإضاءتها ودعم المكتبات. واستفاد مئات الشباب من التكوينات المتخصصة في المهن والخياطة والسباكة والسياحة.

كما تقدم صاحب الفخامة بمكرمة للعارضين المشاركين في معارض المهرجان من المدن القديمة ومن باقي العارضين.

كما وقّعنا اتفاقية مع وزارة الإسكان لترميم المدن القديمة باستخدام المواد المحلية، في احترام لعبقرية المكان وهويته العمرانية، بالتوازي مع الاحتفاء بخمسينية حوض آرغين، تأكيدًا على أن صون البيئة هو وجه مكمل لصون التاريخ والذاكرة.

كما تم تزامنا مع المهرجان الاحتفاء بالأيام الوطنية للصناعة التقليدية وتخليد خمسينية حوض آرغين.

أما من الناحية العلمية والإبداعية، فقد عاشت وادان على مدى خمسة أيام، حراكًا معرفيًا وفنيًا لافتًا، من خلال عشرات الندوات والمحاضرات التي قدّمها باحثون من داخل الوطن وخارجه، وتُوّجت بإصدارات وطنية ونشر عشرات المؤلفات وعدد خاص من مجلة الثقافة ونشرية توثيقية للمهرجان. وفي الوقت ذاته، عبّر مئات الفنانين والشعراء، وبكل لغاتنا الوطنية، عن غنى الهوية الموريتانية وتنوعها الخلاق، فيما أطلق السيد ميغيل أنخيل موراتينوس؛ رئيس تحالف حوار الحضارات من وادان، مشروع طريق القوافل الذي يشكل أفقًا إنسانيًا جديدًا، يعيد لمدائننا دورها التاريخي كجسور تواصل حضاري بين إفريقيا وأوروبا، لا كحدود فاصلة بينها.

الشعب: تطبيقا لتوجيهات فخامة رئيس الجمهورية، وتنفيذا لرؤية الحكومة، تحول المهرجان من حدث ثقافي – على أهميته – إلى مكونة تنموية، كيف تم ذلك وماهي أبرز الصعاب التي واجهتكم

في سبيل تحقيق ذلك؟

معالي الوزير: لقد كان الانتقال بالمهرجان من «الاحتفالية العابرة» إلى «المكونة التنموية المستدامة» تحدياً. وبالفعل، تمكنا من ضخ دماء جديدة في شرايين المدن عبر دعم المشاريع الصغيرة والمتوسطة المرتبطة بالسياحة الثقافية، إضافة إلى تعزيز الخدمات الأساسية مثل الصحة والتعليم والماء والكهرباء والسدود والاستصلاح الترابي.

وقد تم ذلك بمقاربة تشاركية جعلت من الشباب والنساء شركاء في تصور الحلول وتنفيذها. إن هدفنا اليوم هو توطين هذه المكتسبات حتى تبقى رافداً دائماً للدورة الاقتصادية المحلية.

الشعب: يمثل مهرجان مدائن التراث إحدى تجليات الدبلوماسية الثقافية الوطنية، بنظركم ماهي أبرز الأبعاد التي استطاع من خلالها المهرجان إيصال المشهد الثقافي لبلاد شنقيط إلى الآخر؟

معالي الوزير: إن «مدائن التراث» هي سفارتنا الثقافية المتنقلة، ومن خلالها نُقدم للعالم «موريتانيا: ملتقى الحضارات وواحة التسامح». حضور أكثر من 30 بعثة دبلوماسية في وادان كان اعترافاً دولياً بالقيمة الكونية لموروثنا الثقافي وتراثنا.

لقد نجحنا في تسويق «النموذج الشنقيطي» الذي يجمع بين التبحر العلمي والتعايش السلمي، هذه الدبلوماسية الناعمة وضعت مدائننا على الخارطة السياحية الدولية، وحولتها إلى مزارات تستقطب الفكر والإعلام العالمي، مما يعزز من مكانة بلادنا كقوة ناعمة في محيطها الإقليمي والدولي.

الشعب: هل من حديث حول جهود القطاع في حماية التراث بشكل عام وتراث وادان بوجه خاص؟

معالي الوزير: في وادان، كما في شقيقاتها، اعتمدنا آليات الترميم بمواصفات علمية دقيقة وعقدنا شراكات مع المنظمات الدولية المتخصصة، لكن الإنجاز الأكبر الذي نفخر به هو «الريادة الدولية» التي حققتها موريتانيا مؤخراً؛ فوصول «المحظرة» وملحمة «صمبا غلاديو» إلى سجلات اليونسكو، وتدوين أكثر من عشرين عنصراً في قائمة «الإيسيسكو» للتراث الإسلامي، هو ثمرة جهد دؤوب لصون هويتنا المادية واللامادية. كما أن الاحتفاء باللغة السوننكية دوليا، وربط كل ذلك ببرامج الترميم الميداني، وإطلاق البحث في أزوكي وإقامة منشآت التراث بوادان ومكسم بن عامر، يعكس شمولية رؤيتنا التي تقوم على تنوع مكونات الهوية الوطنية. نحن نبني استراتيجية تجعل من كل موقع أثري «منارة» ومن كل عنصر ثقافي «ثروة».

الشعب: معالي الوزير، هل من كلمة توجيهية في مجال الحث على حماية وصيانة التراث؟

معالي الوزير: رسالتي إلى كل موريتاني وموريتانية هي أن التراث ليس «حكايات تُروى» بل هو «أمانة تُصان». إن الدولة، بتوجيه من فخامة رئيس الجمهورية، مستمرة في استثماراتها في مجال التراث، لكن هذا الجهد يحتاج إلى «وعي مجتمعي» يحتضنه.

نحن بصدد تطوير النسخ القادمة لترسيخ «المؤسسية» في المهرجان، وتوسيع قاعدة المستفيدين، وتوطيد المكونة التنموية وتعزيز الشراكات الدولية. فالتراث، في تصور فخامة رئيس الجمهورية، هو أحد الركائز الصلبة لمشروعنا الوطني الطموح.

مهرجان وادان:

انتشال للمدينة من الاندثار وغيابات جب النسيان

إعداد: أحمد طالب ولد المعلوم

شكلت النسخة الرابعة عشرة من مهرجان مدائن التراث، التي انطلقت فعالياتها الرسمية بإشراف من فخامة رئيس الجمهورية السيد محمد ولد الشيخ الغزواني، يوم الجمعة التاسع عشر من دجمبر 2025، فرصة لإبراز عزم السلطات العمومية، المضي قدما في التوجه الذي جاء في خطابه التاريخي، قبل أربع سنوات بنفس المدينة وفي ذات المناسبة.

فقد حمل خطاب هذه النسخة جدية حقيقية تثبت التزام السلطات العمومية مواصلة معركة البناء والتنمية، فإلى جانب تأكيد رئيس الجمهورية الأهمية التاريخية والحضارية لمدينة وادان ، التي صنفت ضمن التراث الإنساني العالمي، وكذا دورها العلمي والثقافي، فقد أوضح تصميم الحكومة على صون التراث الوطني المادي واللامادي وحمايته والسعي به ليكون رافعة تنموية محلية في بعديها الثقافي والسياحي، مبرزا في هذا المجال جهود الدولة الرامية إلى تنمية مدننا التاريخية، التي تشكل مدينة وادان إحداها، عن طريق تحسين بنيتها التحتية وتطوير خدماتها الأساسية وتمكين السكان المحليين من الولوج إلى خدمات الصحة والتعليم والمياه والكهرباء بكل يسر وسهولة وتطوير الشبكة الطرقية وتمويل مشاريع مدرة للدخل، تمكن الساكنة المحلية من توفير سبل العيش الكريم .

وكانت نسخة وادان من مهرجانات مدائن التراث هذه السنة، مناسبة لرئيس الجمهورية نوه فيها بدور المهرجان في صقل وإحياء الذاكرة الجماعية الوطنية ونقل القيم الثقافية والمثل الإنسانية لأجيال المستقبل واشراك السكان المحليين في ترقية وتطوير مناطقهم الأصلية من أجل تعزيز الدور الثقافي لموريتانيا في

نشر الثقافة والعلوم الشرعية وابراز مكانة البلاد في هذا المجال على المستوى الإقليمي والدولي.

وتميز خطاب وادان لفخامة رئيس الجمهورية، بالدعوة إلى تعزيز الوحدة الوطنية والتمسك بالهوية الثقافية الموريتانية والاعتزاز بتنوعنا الثقافي الوطني، بوصفه عامل ثراء، داعيا الجميع إلى نبذ المسلكيات المعيقة لبناء الدولة والعقليات التي تتعارض مع متطلبات التنمية والعدالة الاجتماعية، كالاساليب القبلية والجهوية البغيضة والنفس الشرائحي والتراتبي المقيت، الذي يتعارض في المجمل مع التطور وبناء الدولة على أسس حديثة تتساوى فيها حقوق وواجبات المواطنين على حد سواء.

وفي نسخة وادان لسنة 2025 اتضح اكثر من أي وقت مضى، أن مهرجانات مدائن التراث لم تعد تلك المناسبات السنوية الروتينية، التي تجتر فيها طقوس احتفالية كرنفالية تعودت عليها الساكنة المحلية، تتباهى فيها المدن التاريخية بنماذج مختلفة من الفلكلور الشعبي والفرق الفنية والثقافية المختلفة وتستعرض فيها كنوز تراثية، علمية وثقافية وفنية، ذات عبق تاريخي غني بكل المعاني، التي سطرت بإرادة أجداد لم يدخروا جهدا في سبيل حمل الثقافة والدين ونشره عبر اصقاع العالم، بل أصبحت لمهرجان مدائن التراث أبعاد تنموية مختلفة، تأخذ في الحسبان، إلى جانب متطلبات المحافظة على التراث المادي واللامادي لمدننا التاريخية، توفير الخدمات الأساسية والعمل على تنمية هذه المدن لتثبيت سكانها ومنحهم، سبل الحصول على العيش الكريم وتسهيل نفاذ أفرادها إلى الخدمات الأساسية.

وهكذا مثلت النسخة الرابعة عشرة من مهرجان مدائن التراث في مدينة وادان، مثالا حيا على التوجه العمومي لجعل هذا الموعد مناسبة إنمائية تعبأ فيها الموارد العمومية اللازمة لتطوير المدن التاريخية وانتشالها من براثين الاهمال وغيابات جب النسيان ، بإطلاق رزمة من المشاريع التنموية ذات المكونات المختلفة، لتصبح المهرجانات، فرصا للنهوض بهذه المدن، إلى جانب البعد الثقافي والتاريخي لها.

وقد سعت الدولة من وراء تنظيم مهرجانات مدائن التراث، من بين أمور عديدة، إلى ضخ مليارات الأوقية لدعم الخدمات الأساسية بهذه المدن ،كالمياه والكهرباء والطرق والصحة والتعليم والاتصالات، إضافة إلى دعم المساجد والمحاظر والحرفيين والمشاريع والمرافق ذات الصلة بالشباب والنساء والصناعة التقليدية والسياحة، وتشييد وترميم الطرق سعيا لفك العزلة بين احيائها وربطها بمدن البلاد الأخرى .

وشكل إدخال المكونة الاقتصادية، تعزيزا للمكونة الثقافية المتعلقة بالكنوز التاريخية التي تفوح أصالة والدرر التراثية والمخطوطات وأنواع العمران ا لمختلفة .

وقد عكست الجهود المبذولة للرقي بمدننا التاريخية، اصرار رئيس الجمهورية على الوفاء بما سطر في برنامج «تعهداتي» في المأمورية الأولى وبرنامج «طموحي للوطن» في العهدة الثانية.

وقد اتضح من خلال التنظيم الجديد لمهرجانات مدائن التراث أنه توجه استراتيجي جديد، خلق فرصا لتأطير المجتمع وتوجيهه بشكل محكم وجيد، تمكنه من التلاحم والوحدة والثقة في نفسه ودور مؤسساته.

وكانت نسخة وادان لهذا العام، بمثابة قافلة حقيقية لتنمية المدينة وتلبية اهتمامات سكانها، فإلى جانب مكوناتها الثقافية والعلمية والرياضية والفنية والترفيهية، فإن المقاربة التنموية كان لها الأثر الملموس في تعزيز أداء الخدمات الأساسية وخلق مشاريع مدرة للدخل ساهمت في استحداث فرص العمل وتنشيط التنمية المحلية، إضافة إلى تحسين وتطوير مرافق مختلفة كزيادة قدرة شبكتي المياه والكهرباء وتطوير القطاع الصحي والتعليمي والزراعي والثقافي والرياضي والسياحي .

مهرجان مدائن التراث:

نسخة وادان.. الخصوصية والمميزات

إعداد/ أحمد الشيخ الرباني

برعاية سامية من فخامة رئيس الجمهورية السيد محمد ولد الشيخ الغزواني، احتضنت مدينة وادان النسخة الرابعة عشرة من مدائن التراث في الفترة من 19 و 23 دجمبر 2025، وتوجت الليلة الأولى من سهرات المهرجان بتكريم الفائزين بجائزة رئيس الجمهورية للفنون الجميلة، حيث تسلم الفائزون جوائز معتبرة من فخامته، في مجالات المسرح والسينما والفن التشكيلي والموسيقى.

وشهد مهرجان مدائن التراث إقامة معرض لمختلف نفائس الكتب والمخطوطات القديمة التي تزخر بها مكتبات المدينة والتي تعود لمئات السنين كانت شاهدة على حقبة من تاريخ وادان حيث استطاع علماؤها المحافظة على رصيد وموروث ثقافي وعلمي وديني عبر العصور.

وعلى هامش المهرجان زار معالي وزير الثقافة والفنون والاتصال والعلاقات مع البرلمان، الناطق باسم الحكومة، السيد الحسين ولد مدو، جناح الوكالة الموريتانية للأنباء ضمن المعرض المنظم في إطار النسخة الرابعة عشرة من مهرجان مدائن التراث بمدينة وادان.

وتلقى معالي الوزير شروحا قدمها المدير العام للوكالة الموريتانية للأنباء، السيد محمد تقي الله الأدهم، تضمنت تعريفا بالدور الذي تضطلع به الوكالة باعتبارها المصدر الأساسي للأخبار الوطنية، سواء من خلال جمع ونشر الأخبار على مختلف وسائطها التي تشمل شريطها الإخباري على "تلغرام" وموقعها الإلكتروني، وصفحتها على الفيس بوك، التي تم توثيقها مؤخرا من طرف شركة "ميتا"، مما عزز مصداقيتها وأعطاها حماية خاصة.

واستعرض المدير العام نماذج من أرشيف الوكالة تضمنت أول برقية لها، ونماذج من تغطياتها للأحداث الوطنية البارزة، والملحقات التي أعدتها مواكبة لتلك الأحداث إضافة لتاريخ نشأة الوكالة، ومراحل التطور التي مر بها موقعها الألكتروني، وجريدتا الشعب وأوريزوه،

ووسائطهما لتشمل الإعلام متعدد الوسائط.

كما تم تنظيم معرض لمختلف المنتوجات الغذائية والمنسوجات من إنتاج التعاونيات النسوية، أبرز دور المرأة الوادانية في مختلف المجالات وكيف حافظت على نشاطها واعتمادها على جهودها الذاتية وصمودها رغم تحديات العزلة والبعد الجغرافي، مع تمسك سكان وادان بالقيم والأخلاق وكرم الضيافة وحسن الاستقبال.

من ناحية أخرى تم تنظيم ندوات علمية تطرقت لمواضيع مختلفة من تاريخ المدينة وعلمائها، وكذلك دور الدبلوماسية العلمية في التعريف والترويج لتاريخ المدينة العريق إضافة إلى تنظيم سهرات ليلية ومدائح أنعشتها فرق فنية وموسيقية حضرها جمهور كبير من زوار المهرجان وسكان المدينة وإلقاء قصائد شعرية.

كما شهد المعرض التعريف بالقيمة الكبيرة للتراث العلمي والإنساني الذي تزخر به المدينة التاريخية عبر عرض مخطوطات وكتب قديمة شاهدة على ألق هذه المدينة وأصالتها.

مكونة التنمية كانت حاضرة بقوة في هذا المهرجان والتي ستمكن من تحسين أداء الخدمات الأساسية في وادان عبر بناء وترميم منشآت تعليمية، وتعزيز أداء المرافق الصحية، وزيادة قدرة شبكتي المياه والكهرباء، وبناء منشآت رياضية وثقافية، وتمويل مشاريع مدرة للدخل، والقيام بتدخلات لتعزيز أداء القطاع الزراعي ومكافحة التصحر، ودعم المنشآت السياحية، وترميم مقرات المرافق العمومية في المدينة، إضافة لتدخلات أخرى تطال مجالات متعددة، كما تشمل هذه المكونة ترميم مدرسة وادان رقم1، وترميم وتجهيز ثانويتها وتجهيز إعدادية «تنلبه»، وزيادة أقسام مدارس «فم لخنك، فم آجار، وأكافي، واجريجير»، وتجهيز المفتشية المقاطعية للتربية بالمكيفات وأجهزة الكمبيوتر والمقاعد، وسد النقص الحاصل في الأساتذة وعمال الدعم، وتوفير كرسي طبيب أسنان، وجهاز تخطيط القلب، ومعدات وقائية (كمامات، معقمات، قفازات، وموازين حرارة بالأشعة تحت الحمراء)، وتنظيم حملة توعية مجتمعية حول النظافة والوقاية من الأمراض المعدية والإسعافات الأولية، وتقديم أدوية

أساسية للطوارئ، وتعزيز مخزون الأدوية الأساسية لنظام ميسر بالمركز الصحي بوادان.

كما ستشمل المكونة التنموية تزويد المدينة بمولد كهربائي جديد بقدرة 800 KVA، وتطوير شبكة التوزيع في حي الثانوية وتوسعتها لتشمل الأحياء الشمالية الجديدة، وتهجين محطة الكهرباء بالطاقة الشمسية، وتوفير 10000 متر طولي من السياج، وتعزيز السدود الصغيرة التي اختارتها بعثة وزارة الزراعة والسيادة الغذائية في إطار عقد البرنامج مع الشركة الوطنية للاستصلاح الزراعي والأشغال، ودعم التعاونيات الزراعية المحلية بالمدخلات الزراعية كالبذور المحسنة والأسمدة، وإنجاز أعمال استصلاح التربة عن طريق جرارات جهة آدرار وتحديد عدد ساعات العمل التي تلتزم بها الجهة المعنية.

ومن ضمن هذه المكونة إطلاق مشروع لتطوير وتنمية الواحات سيمكن من تجهيز 30 بئرا بمضخات تعمل بالطاقة الشمسية لصالح واحات وادان وتلبه وتنوشرت، وترميم حاجزين صخريين أحدهما في وادان والآخر في تلبه، وبناء وحدة تبريد في وادان، وإقامة شبكتي ري جزئيتين لصالح واحتي وادان وتلبه بالإضافة إلى إنجاز وحدة ري جماعية في واحة تنوشرت.

كما سيتم ترميم فضائي الذبح في وادان وقرية تلبه، والقيام بحملة لتوزيع أدوية مجانية على المنمين في المناطق الرعوية، لتحصين المواشي، وتكوين وتعزيز المكتسبات المهنية، لفائدة الفاعلين السياحيين والشباب العاملين في مجالات الفندقة والمطاعم، وتوفير 50 مليون أوقية قديمة لدعم النزل بالمدينة. وتجهيز الفضاء الشبابي بمقاعد وصوتيات وشاشة كبيرة، وتمويل مشاريع لصالح شباب وادان ضمن نسخة 2025، لمشروعي مستقبلي، وتنظيم الأيام الوطنية للصناعة التقليدية في وادان من خلال معرض نوعي لمهارات ومنتجات الصناعة التقليدية، وتقديم دعم فني ولوجستي لتعاونيات الصناع التقليديين، وتنظيم دورات تكوينية قصيرة لفائدة الشباب في مجالات: الخياطة، الكهرباء، السباكة والتبريد، وإنشاء معهد للعلوم الشرعية، ودعم المحاظر والمساجد، واكتتاب إمام ومؤذن جامع «تنلبه».

وتشمل مكونة تنمية مدينة وادان كذلك ترميم مكاتب الحاكم ومقر إقامته، وترميم ساحة المهرجان والمنصة الرسمية وتوفير غطاء للمنصة وإنارتها، وإعداد مخطط عمراني لمدينة وادان، وصيانة الطريق الرابط بين شنقيط ووادان، وبناء خزان مياه جديد بسعة 100م مكعب، وتنفيذ بئرين لتعزيز الإنتاج، وإعادة تأهيل الشبكة القائمة، وتوسعة الشبكة لتغطية الحيّين الهشّين: الرباط والمنارة، وبناء خزان مياه بسعة 50 مترًا مكعبًا في تنوشرت، وتجهيز البئر بالمعدات اللازمة، وإنشاء شبكة توزيع المياه بها. وترميم المسجد العتيق ومحظرته، وترميم شارع الأربعين عالما والسور القديم ومنازل في الحي القديم، واستصلاح ساحات «الرحبة واطوار» (بناء مقرات تقليدية للبائعات المتنقلات وإزالة المباني الموجودة في هذه الساحات)، ودعم مكتبات المخطوطات وتوفير المعدات اللازمة لها، وإنارة شوارع المدينة القديمة بالطاقة الشمسية، وبناء وتجهيز وتشغيل مقر الإذاعة الوطنية بوادان، وبناء وتجهيز قرية ثقافية من طرف هيئة التراث، واعتماد معرض وادان للثقافة والتراث كمعرض دائم، وانطلاق مشروع مكتبات مدائن التراث (المكتبة الوادانية)، ودعم 200 أسرة في الحي القديم لترميم واستصلاح منازلها.

ومن خلال هذه المكونة التنموية سيتم إنشاء وتجهيز روضة نموذجية للأطفال، ودعم ذوي الاحتياجات الخاصة عبر تمويل 25 مشروعا وتقديم معدات خاصة، وتنفيذ برنامج لتثبيت الرمال في واحات «تنوشرت، انوج، مايعتك، الحصن، ارغيوية»، وتشجير المؤسسات التعليمية، وتقديم دعم لتسيير النفايات، ودعم للمحاظر، وتخصيص جوائز لتشجيع حفظ القرآن الكريم في وادان، وتجهيز قاعة المؤتمرات الدينية والثقافية، وتزويد الأندية المحلية بمعدات رياضية، ودعم 75 تعاونية نسوية تضم أكثر من 950 امرأة من خلال حزمة تدخلات، وتمويل دكاكين جمعوية متنوعة مدرة للدخل.

تشمل المكونة أيضا إنشاء الفضاء الرقمي لوادان بما يتطلب من تجهيزات رقمية ومكتبية، وتنظيم تكوينات ميدانية لـ 40 شخصا وتكوينات لـ 5 مكونين سيواصلون فيما بعد إعطاء الدروس والتكوين على مستوى الفضاء الرقمي، وإنشاء موقع انترنت تفاعلي خاص بمدينة وادان، وتقديم المساعدة الرقمية في فعاليات قلب الريشات «عين الأرض»، وتحسين جودة الانترنت والاتصالات بوادان وضواحيها.

كما تشمل المكونة تمويل مجموعة من المشاريع المجتمعية من بينها بناء مجمع يضم مدجنة، ومسمكة، ومجزرة ووحدة لمنتجات الحبوب، وتركيب منظومة طاقة شمسية لضمان تشغيل هذه المرافق بصفة دائمة وفعالة، وتوفير شاحنة لنقل الغاز وتوزيع 500 قنينة غاز، و 500 سلة من مختلف المواد الغذائية لصالح 500 أسرة هشة بمدينة وادان، وتوزيع 20 طنا من القمح في إطار برنامج الغذاء مقابل العمل، وتمويل 10 أنشطة مدرة للدخل بغلاف مالي قدره 500.000 أوقية جديدة، وتوفير 4000 متر من السياج لتسييج الواحات مع ملحقاتها (8000 متر من الأسلاك الشائكة و800 عمود من الحديد، 160 عمود من الإسمنت المسلح و4000 متر من أسلاك الحديد للشد)، وتوفير 6 أطنان من القمح مقابل أعمال التثبيت.

مشروع القرية التراثية.. فضاء للفن والثقافة

إعداد/ أحمد الشيخ الرباني

مشروع القرية التراثية جزء من هيئة التراث يقوم على عدة مكونات تهدف لخدمة الثقافة والفن وحفظ الذاكرة الوطنية القائمة على الأصالة والمجد الذي حافظ عليه الآباء والأجداد عبر العصور وتوارثته الأجيال.

يتكون مشروع قرية التراث من مقر للهيئة، ومتحف المرابطون، إضافة إلى مكتبة، ومسجد، ومعرض للمقاومة، ومصحف الألواح، ومركز للتراث والحرف اليدوية، مع مكونة بيئية، ومنصة للعروض، ومركز إعلامي...

معرض المقاومة الوطنية

ويعرض في هذه الخيم نماذج من معالم من أمجاد المقاومة الموريتانية وعناصر تراثية تقدم نماذج من الوسائل والأدوات والفنون التي اعتمدها الأجداد إبان فترة المقاومة الوطنية.

فضاء للصناعة التقليدية

يعرض في هذه الخيم والأعرشة نماذج من الصناعات الحرفية الوطنية وما انتجه المبدعون من رواد الصناعة التقليدية الذين ساهموا في تكريس الاستقلال الوطني عن المستعمر وبناء نموذج العيش المشترك عبر مجالنا الجغرافي.

فضاء الفن والثقافة

وهو مفتوح أمام فرق الموسيقى الموريتانية (أزوان أو الهول) بجميع اللغات الوطنية ويشكل الفن لغة تجمع ولا تفرق وتشجع هيئة التراث الموسيقى العريقة التي ورثت الفن عن آباء وأجداد بشكل شفهي وتطبيقي.

فضاء حضارة الرحل الملثمين:

وهو عبارة عن فضاء للثقافة وموسيقى الرحل عبر مجالات الصحراء وعبر مهرجان ثقافي تراثي تعمل هيئة التراث على إنتاجه تحت عنوان(مخرجات الفتوة)، يتنقل بين ولايات موريتانيا وتجتهد الهيئة ليكون مهرجانا دوليا من سلسلة جبال موريتانيد إلى مجابات آوكار وكاركورو وضفاف النهر والبحر وواحات النخيل وعين الصحراء الموريتانية.

معرض المنتجات بمدائن التراث:

حين يتحول المهرجان إلى فرصة للتنمية

إعداد/ محمد العتيق

بعد أربع سنوات تتوقف قافلة مدائن التراث من جديد في وادان، المدينة التي تنتصب بشموخ فوق هضبة آدرار، يراها القادم من بعيد كأنها جوهرة استعيدت من أعماق التاريخ، داخل سور المدينة العتيق ترقد قرون من الإشعاع الثقافي والحضاري، واحتفاء بتراثها المادي الذي تغص به أزقتها ودروبها القديمة، جاء مهرجان مدائن التراث ليقيم نسخته الرابعة عشرة، حاملا معه آمالا للعديد من العارضين في تصريف بضائع جمعت بين عراقة وأصالة الصناعة التقليدية وبين كد المزارعين في الواحات وتحت النخيل.

استطاع المعرض المصاحب للمهرجان هذا العام اقتطاع مساحة بين الدور المتاخمة لسوق المدينة إلى جانب المساحة المخصصة له قرب المنصة.

عند التجول بين خيام المعرض تطالعك نساء طاعنات في السن إلى جانب فتيات في مقتبل العمر، جئن يعرضن بضائع من وحي خبرة الوادانيات في إعداد المستحضرات الغذائية من التمور والحبوب، وكأن المشهد مصداق للقصة التي تحكي ولع الآداراريين بالعمل ونبذ الاتكالية.

بين هذه الخيام تتربع السيدة السبعينية الغالية بنت بخير، خلف قناني زجاجية ملئت بمساحيق غذائية من مستحضرات من التمور، وبمستحضرات نباتية أخرى متنوعة، صفت على قطعة قماش غيرت الشمس لونها، تشد هذه السيد انتباه الباعة والمشترين والمتجولين إلى بضاعتها بحسها الدعابي وتعابيرها الملفتة، تصف النسخة الرابعة عشرة من مهرجان مدائن التراث انطلاقا من خبرتها التي صقلتها السنين، بأنها دون المأمول والمتوقع فهي لم تستطع بعد بيع كل بضاعتها، مع ذلك ترى في المهرجان المنقذ للمدينة وسكانها وتراثها من الضياع، فقد أشرف جل سكانها على الهجرة طلبا للعيش بعد أن كادت وديانهم تضيع في مهب جفاف قاحل بسبب ندرة المياه وصعوبة استخراجها من المصدر الوحيد جوف الأرض، تضيف السيدة الغالية أن المهرجان إضافة إلى ما يجلبه من رخاء موسمي بفعل تأجير المنازل خلع على المدينة طابعا تنمويا من خلال إقامة عدة مشاريع لدعم الزراعة ولدعم صمود السكان وتثبيتهم في أماكنهم، مع ذلك تشير إلى أن هذه الجهود تبقى ناقصة مالم يتم تعبيد الطريق الرابط بين المدينة وأطار.

قرب خيمة العجوز الغالية تجلس منى بنت عمو، فتاة بالكاد بلغت منتصف العشرينيات من العمر ، تشترك ظل خباء من القماش مع جارات من أترابها، وتضع أمامها

مجموعة من التحف الصغيرة المنحوتة بعناية من صخور رسوبية وبعض المنتجات الزراعية من تمور وحبوب وأوراق مجففة، تعرض بضاعتها على كل مقترب أو مار من أمام الخباء رغم انهماكها في تصفح هاتفها الذكي، تقول إنها المرة الأولى التي تشارك فيها في المعرض المصاحب للمهرجان وأنها راضية كل الرضى عن ما حققته حتى الآن من نتائج فقد باعت كمية من بضاعتها وهي بذلك مسرورة جدا

وتنظر للمهرجان بعين الرضى، رغم مآخذها عليه حيث ترى أن المهرجان أسرف في الجانب الترفيهي على حساب المضمون والهدف الأساسي منه، إذ كان من المفروض التركيز أكثر على الجانب التنموي للمدينة ودعم مشاريع الحفاظ على التراث المادي والمعنوي فيها.

مع ذلك تؤكد أن هناك العديد من المشاريع ضمن المكونة التنموية في النسخة الماضية للمهرجان في المدينة، قد أنجزت مما ساعد السكان على الصمود، لذلك الكل في وادان ينظر إلى النسخة الحالية بترقب وتلهف للمزيد من المشاريع التنموية والمزيد من المساعدات.

غير بعيد من الفتاة منى وصويحباتها تجلس السيدة السالمة بنت أسلم واضعة أمامها أكياسا من الحناء تستجدي المارة بعبارات ونظرات مستعطفه، لشراء بضاعتها المزجاة، رغم قلة ذات يدها الظاهرة للعيان تتحدث بنبرة تزور عن الكثير من الرضى والقناعة، فتصف المهرجان بالجيد فقد جلب بقدومه الرخاء والرواج للمدينة مؤكدة أنه في كل مرة ينظم فيها بوادان تنتعش التجارة وينعم السكان بربح وفير من خلال تأجير المنازل ومن تصريف التجارة.

رغم برودة الجو وكثافة الغبار الذي تثيره أحذية المارة وإطارات السيارات لا تجد السيدة خديجة اعل سالم، بدا من الجلوس في الهواء الطلق فبالكاد وجدت متسعا بين العارضين فهي قادمة من قرية « تنلبه» المتاخمة لوادان من الجنوب، تعرض على بساط من القش تشكيلات متنوعة من الحلي التقليدي والمستحضرات الغذائية والمساحيق، لم تمنعها إكراهات الموقع الذي تعرض فيه من تصريف كميات من بضاعتها كما تقول رغم أنها حديثة عهد بالمعرض فقد فرشت بضاعتها بدءا من اليوم الثاني للمهرجان، حيث ترى في ذلك دليلا على ما جلبه المهرجان من رواج للمدينة، فهي تعتبر النسخة الرابعة عشرة من المهرجان من أحسن النسخ وأكثرها مردودا من حيث تنشيط

التجارة والاستفادة المباشرة للسكان.

بعد أيام من المنافسة أسدل الستار على معرض المنتجات ضمن مهرجان مدائن التراث بوادان، ليفتح بابا أوسع من الأمل والعمل. هنا التقى عبق الماضي بروح المبادرة، وتحولت أيادي الحرفيين والمنتجين إلى رسائل وفاء للتراث.

معرض لا يكتفي بعرض المنتج، بل يقدم حكاية مدينة تصر على أن تحيا بتراثها، وتبني مستقبلها بسواعد أبنائها، لتبقى وادان شاهدة على أن التراث إذا أحسن استثماره، كان طريقا للنهوض والاستدامة.

مدائن التراث بوادان في عيون مشاهير المدينة وضيوفها

إعداد: أحمد الشيخ الرباني- محمد ولد العتيق

في المنكب الشرقي من ولاية آدرار تكابر مدينة وادان وتأبى الاندثار تحت طيات النسيان و الزمن، على مرتفع من هضبة آدرار تنتصب هذه المدينة التي عانت لسنين من تبعات جفاف شديد وعزلة شاقة، فقد تحدد مصيرها منذ زمن بعيد عند سفح الجبل الذي يمر منه طريق «ولد أبن» الممر الوحيد الذي يربط المدينة بعاصمة الولاية أطار وبعاصمة البلاد نواكشوط، وقد ظلت مدينة وادان وأختها شنقيط في شبه عزلة بسبب وعورة هذا الممر، ومنذ سنوات بدأ الوضع يتغير تدريجيا بفعل مهرجان مدائن التراث الذي يرى فيه جل السكان طوقا أنقذ المدينة من براثن النسيان، فبمكونته التنموية التي أطلقت من وادان في النسخة العاشرة اكتملت أدوار المهرجان من وجهة نظر أغلب أعيان المدينة.

وفي مقابلات أجرتها «مجلة الشعب» مع بعض أعيان مدينة وادان، قال السيد سيد محمد ولد مولاي، أحد ملاك النخيل وممتهني الزراعة في المدينة ، إن المهرجان منذ نسخته الأولى في المدينة منذ قرابة العقدين استطاع انقاذ المدينة من الاندثار و إحياءها من جديد بعد أن كانت في شبه موت سريري ، حيث خلق المهرجان حراكا اقتصاديا غير مسبوق، وأغرى السكان بتطوير وتأثيث منازلهم بغية تأجيرها فترة المهرجان، وأضاف أن تأثير المهرجان لم يقتصر على تنشيط الحركة الاقتصادية في المدينة فحسب ونفض الغبار عن تراثها القيم بل ثبت السكان في أماكنهم بعد أن أوشكت الأرض على طرد أهلها بسبب ندرة المياه، فبواسطة المكونة التنموية للمهرجان وما جلبته من بنية تحية مائية وكهربائية وصحة وتعليم بدأ سكان المدينة في الثبات بها فهم أصلا لا يبغون عنها بدلا. ويؤكد السيد سيد محمد، أن سكان وادان جلهم من مزارعي النخيل وأغلب وديانهم بحاجة إلى السياج لحمايتها وحفر مزيد من الآبار الارتوازية وتركيب مضخات لسقي المزروعات رغم ما وفرته مكونة المهرجان التنموية من بنية تحية زراعية، وأشار إلى أن سكان المدينة والمقاطعة ككل ينظرون للنسخة الرابعة عشرة من مهرجان مدائن التراث بعين الرضا ويتطلعون للمزيد من المشاريع التنموية وبالذات مشاريع دعم صمود السكان وتطوير البنية التحتية للمواصلات، فجل مناطق المقاطعة خارج التغطية بسبب

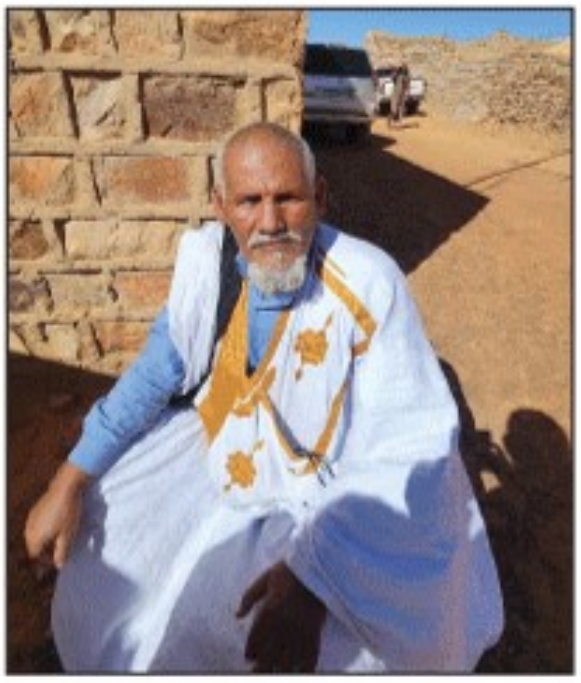

وعورة التضاريس مما يتطلب توفير شبكات الاتصال في كل مناطق المقاطعة.

وأضاف أن من أهم مطالب السكان هو توفير مصنع للأعلاف في المنطقة لسد خلة السكان من هذه المادة المهمة فجل المواطنين في المقاطعة من المنمين والمزارعين وبسبب شح التساقطات المطرية يتكلفون الكثير في سبيل توفير الأعلاف لمواشيهم.

أما السيد محمد الأمين ولد الفاظل، فيذهب إلى القول إنه ورغم الدور المهم للمهرجان وأثره الإيجابي على السكان المحليين يجب إضفاء صبغة دولية عليه من خلال دعوة المزيد من الضيوف الدوليين لتسويق تراث مدننا التاريخية وتنشيط قطاع السياحة الرافد الأهم لسكان المنطقة، وجلب العملة الصعبة للبلد، وأضاف أن المكونة التنموية للمهرجان يجب أن تركز على تعبيد الطريق الرابط بين أطار والمدينة باعتباره شريان الحياة المهم لها، مؤكدا أن أثر المهرجان على المدينة ظاهر للعيان من خلال التطور العمراني والبنية التحية التي شيدت في المدينة.

وبدورها ترى الناشطة المجتمعية ورئيسة تجمع للتعاونيات النسوية في وادان السيدة مريم بنت ادويك، أن لمهرجان مدائن التراث أثرا بالغا على نهضة المدينة وانتشالها من الضياع والنسيان، فقد عرف بتراثها الغني والعريق، وأصبح السكان ينتظرون المهرجان من نسخة لأخرى طلبا لازدهار

تجارتهم وتأجير منازلهم وتنشيط اقتصاد المدينة وجلب التنمية، وتضيف لقد علقنا على هذه النسخة من المهرجان الكثير من الآمال لإقامة مشاريع تنموية جديدة كحفر الآبار لسقاية النخيل المورد الأساسي لدخل أهل المدينة ...

اما السيد محمد ولد سيد اسليمان، الناشط في قطاع التنمية، فيرى أن للمهرجان دورا بارزا في تنشيط التجارة والرفع من اقتصاد المدينة، إلى جانب دوره المنوط به أصلا في نفض الغبار عن التراث المادي والمعنوي للمدينة ورد الاعتبار لها بوصفها إحدى أهم مدائن التراث في البلاد، وأكد أنه بالرغم من كل هذه المميزات والفوائد ما زال السكان

يتطلعون لتنفيذ المزيد من المشاريع التنموية كتقوية شبكة تزويد المدينة بالمياه الصالحة للشرب وحفر آبار جديدة وتركيب مضخات عليها، وأضاف أن بالمدينة وديان خصبة صالحة لزراعة الكثير من المحاصيل وبها الكثير من النخيل الذي ينتج أجود أنواع التمور، لكن كل هذا مهدد بسبب ندرة المياه لذا فسكان المدينة ينتظرون من المكونة التنموية لهذه النسخة من المهرجان إقامة مشاريع لدعم قطاع الزراعة في المقاطعة باعتباره النشاط الأهم لدى السكان و المحرك الأساسي لاقتصاد المقاطعة.

وقد عبر ضيوف مهرجان مدائن التراث عن اعجابهم بالعروض الفنية والمدائح الدينية والعروض الموسيقية إضافة إلى معرض المنتوجات الوادانية المختلفة وبمعالم المدينة وآثارها التاريخية مما يؤكد أن موريتانيا بلد العلم والثقافة والدين والتراث، وتزخر بتنوع ثقافي وتاريخي غني في مختلف مناطقها.

وفي هذا المجال قال سعادة سفير المملكة العربية السعودية في موريتانيا الدكتور عبد العزيز بن عبد الله الرقابي، إن مهرجان مدائن التراث هو بمثابة بوابة ثقافية تعكس غنى تاريخ موريتانيا واستتباب أمنها.

جاء ذلك خلال حوار أجرته معه الوكالة الموريتانية للأنباء من وادان، على هامش مهرجان مدائن التراث في نسخته الرابعة عشرة، تناول فيه أهمية مهرجان مدائن

التراث، إضافة إلى تقييمه للوضع الأمني في البلاد ودوره في تعزيز الثقافة والسياحة.

وأشاد سعادة السفير في مستهل المقابلة بمهرجان مدائن التراث، معتبرا إياه بوابة ثقافية تنفتح من خلالها موريتانيا على العالم، مؤكدا أن دعوة السلك الدبلوماسي والضيوف الأجانب لحضور هذه التظاهرة تشكل دلالة واضحة على ما تزخر به البلاد من رصيد ثقافي وتاريخي معتبر.

وأوضح أن هذه المهرجانات تتيح للبعثات الدبلوماسية الاطلاع على الموروث التاريخي والثقافي الوطني، خاصة في ظل الامتداد الجغرافي الواسع

وتنوع الخصوصيات الثقافية والتاريخية لموريتانيا.

واستعرض السفير السعودي في هذا السياق تجربة المملكة العربية السعودية في تنظيم مهرجانات تراثية، من بينها مهرجان الجنادرية، الذي قدم صورة مشرقة عن التراث السعودي، مشيرا إلى أن موريتانيا، المعروفة بكونها بلد العلم والثقافة والدين والتاريخ، تزخر بتنوع ثقافي وتاريخي غني في مختلف مناطقها.

وثمّن سعادة السفير الجهود التي تبذلها الحكومة الموريتانية، من خلال وزارة الثقافة، في إحياء التراث وإبراز نمط حياة الآباء والأجداد، مشيرا إلى أن المعارض المصاحبة للمهرجان، بما فيها معرض المنتجات المحلية التراثية، تسهم في تقديم صورة إيجابية عن موريتانيا لدى الزوار سواء كانوا عربا أو أجانب.

وأضاف أن هذا الانطباع الإيجابي لمسه أيضا لدى عدد من الدبلوماسيين الأجانب غير العرب، الذين عبّروا عن سعادتهم وإعجابهم بالمجهودات المبذولة في هذا المجال، مؤكدا أن هذه التظاهرة تعكس عمق الحضارة الموريتانية وتنوعها.

وفيما يتعلق بالوضع الأمني، أكد سعادة السفير أن موريتانيا تُعد من الدول الآمنة، موضحا أن ما يعيشه ويلاحظه يوميا يعكس مستوى عاليا من الأمن والاستقرار، سواء في العاصمة نواكشوط أو في باقي المدن، مشيرا إلى أن المقيمين يعيشون في أجواء من الطمأنينة دون مضايقات أو تأثير على حياتهم اليومية.

وأوضح أن الأمن يمثل الركيزة الأساسية لأي تنمية ثقافية أو سياحية أو اقتصادية، مشددا على أن غياب الأمن في أي بلد يحُول دون تحقيق هذه المجالات، مهما بلغ مستوى التقدم.

وأضاف في المقابل أن استقرار الدول أمنيا يخلق جاذبية سياحية وثقافية واقتصادية، ويعزز فرص التعاون الدولي.

واستشهد سعادة السفير بتجربته الشخصية في موريتانيا، حيث أكد أنه يتحرك بكل أريحية في مدينة نواكشوط، ليلا ونهارا، دون أن يواجه ما يعكر صفوه، مبرزا أن هذا المستوى من الأمن يُلاحظ كذلك على الطرق السريعة من خلال الانتشار الأمني ونقاط التفتيش، وما يلقاه الدبلوماسيون من ترحيب وحسن استقبال.

وختم سعادة السفير تصريحاته بالتأكيد على أن الأمن الذي تنعم به موريتانيا لا يقتصر على فئة معينة، بل هو واقع يلمسه الجميع على امتداد التراب الوطني الموريتاني، مشيدا بالجهود التي تبذلها الحكومة الموريتانية في هذا المجال.

بدورها أشادت القائمة بالأعمال بالسفارة الأمريكية ببلادنا، السيدة كورينا ساندرز، بمهرجان مدائن التراث في وادان التاريخية، وبالجهود المبذولة لضمان نجاح دورته الرابعة عشرة.

وأعربت السيدة ساندرز، عن شكرها لفخامة رئيس الجمهورية السيد محمد ولد الشيخ الغزواني، وللحكومة الموريتانية، ولسكان ولاية آدرار، على حفاوة الاستقبال وعلى العمل المبذول في تنظيم المهرجان، واصفة التجربة بأنها كانت مذهلة.

وأشارت إلى أن هذه الزيارة تمثل أول رحلة لها خارج نواكشوط، معربة عن سعادتها بوجودها في مدينة وادان.

وأكدت أن هذه هي زيارتها الأولى لهذه المدينة التاريخية، معربة عن أملها في ألا تكون الأخيرة.

وأبرزت أن البلاد تزخر بالكثير مما يمكن رؤيته وتعلمه، لا سيما على مستوى التاريخ، إضافة إلى فرصة التعرف على الشعب الموريتاني.

وأضافت السيدة ساندرز أن التاريخ الموريتاني غني جدا ومثير للاهتمام، لما يتميز به من تعايش وتعدد ثقافي، مؤكدة أنها ترى في موريتانيا بلدا رائعا، وأنها تعلمت الكثير خلال هذه الزيارة، وهو ما يجعلها تشعر بحظ كبير لوجودها في البلاد.

أما رئيس تحالف الحضارات بالأمم المتحدة، المبعوث الأممي لمكافحة الإسلاموفوبيا، السيد ميغل انخيل ميراتينوس، فقد عبر عن سعادته الكبيرة بدعوته للمشاركة في مهرجان مدائن التراث في وادان، مشيدا بأهمية المشاريع الموجهة للمدن التاريخية والاستثمار فيها من أجل استمرار رمزيتها التاريخية، التي تجعل سكان المنطقة والعالم يدركونها، من خلال

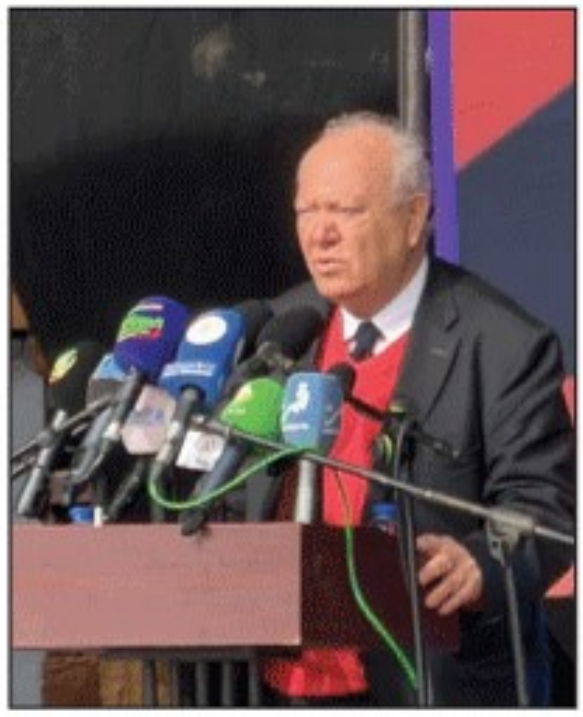

الحفاظ على الماضي، والذاكرة الثقافية، وترميم المعالم والمواقع الأثرية والمخطوطات.

وأكد أن الأمم المتحدة تدعم مهرجانات المدن القديمة، داعيا إلى العمل معا من أجل تعزيز مجالات التنمية وتوسيعها في هذه المدن التاريخية الهامة.

من جانبه أعرب السائح الفرنسي السيد دينيس، عن دهشته بالمهرجان وفقراته المتنوعة، ووصفه بالرائع والمتنوع للغاية، والمألوف بالنسبة له، مؤكدا أنه شاهد الكثير من التنوع الثقافي والتراثي في هذا المهرجان. وقد أعجب كثيرا بالوصلات الموسيقية وما تقدمه الفرق من عزف وغناء وخصوصا فرق المديح والتي وصف غناءها بالرائع والممتع للغاية.

أما الزائر الإسباني ألفارو مارتينيز فقد شرح تفاصيل مشاركته في المهرجان، معتبرا إياها فرصة مميزة للتعرف على المدن التاريخية في موريتانيا، والاستمتاع بالأجواء المذهلة للمهرجان، والسوق وما تتضمنه من منتجات محلية، إضافة إلى متعة مشاهدة الناس والتفاعل معهم، مؤكدا أن المهرجان يشكل نافذة رائعة للاطلاع على التراث الموريتاني.

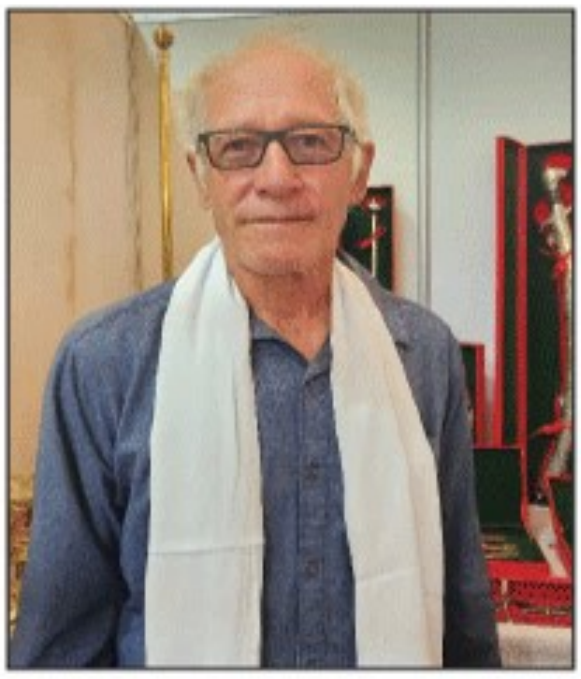

وأشار ألفارو إلى أن هذه هي زيارته الثانية لمدينة وادان، موضحا أنه قضى في الزيارة السابقة عدة أيام لدراسة المدينة التراثية، كما قدم عرضا حول وادان والمدن التاريخية الأخرى ولاته وشنقيط وتيشيت.

وقال إن ما أبهره كثيرا في المهرجان هو الأجواء الحيوية ووجود عدد كبير من الناس والتفاعل بينهم، موصيا المشاركين في المهرجان بالاستمتاع بهذه التجربة الفريدة.

واستعرض أيضا الجدول السنوي للمهرجان، مشددًا على أهمية زيارة موريتانيا في هذه الفترة للتعرف على التراث التاريخي الغني للبلاد.

أما أليكس، وهو روسي متجول حول العالم، فقال إنه يزور موريتانيا ووادان حاليا، معبرا عن إعجابه الشديد بالمهرجان، واصفا تجربة مشاهدته الأولى لسباق الإبل بأنها ممتعة ومثيرة للاهتمام.

وأضاف أنه استمتع أيضا بالموسيقى التقليدية والرقص، مشيرا إلى أن المعارض التي تقدم منتجات محلية صنعها سكان وادان بأنفسهم تضيف بعدا فريدا للتجربة، مؤكدا في ذات الوقت أنه أحب كل ما شاهده كثيرا.

من جهته، عبّر السيد ديني من مدينة "جنيف" بسويسرا، عن سعادته الغامرة بحضوره مهرجان مدائن التراث، ونوّه بكرم الموريتانيين وضيافتهم الأصيلة التي استقبلوه بها منذ قدومه إلى موريتانيا.

وأوصى المهتمين بزيارة المدن التاريخية: وادان، ولاته، شنقيط، وتيشيت، بمشاهدة مهرجانات مدائن التراث التي تُقام كل سنة في إحدى هذه المدن، مضيفًا أنها مهرجانات مدهشة وثرية للغاية، وقال: "نحن متأثرون جدًا بما لمسناه من احترام وصداقة لدى الموريتانيين".

الطريق إلى وادان...

سفـر في المجـرد والمحسـوس!

إعداد/ محمدن إسلم المختار

ليس الطريق إلى وادان دربا ينقضي بمجرد الوصول إلى تلك المدينة العريقة.

إنما هو مسار يوصل إلى وجهتين لابد أن يبلغهما المسافر معا، وإلا فإنه لن يصل إلى وادان.

إنه مسار طويل متزامن على صعيدين مختلفين هما... الخيال والواقع... المكان والزمان.. الحاضر والماضي... والسياق والذاكرة.

بل إنهما باختصار شديد المجرد والمحسوس.

في تلك السبيل يحاور المسافر الطبيعة من حوله، فيبوح له كل شيء بكل شيء.

هناك، تبوح كل نخلة بسر وكل حجر بنحت وكل حكاية بلغز.

حي على وادان.. ها نحن اعتلينا السيارة وتوشحنا أحزمة الأمان وشغّل السائق المحرك وبدأنا المسير.. !

كنا كلما طوت السيارة الأرض كلما زارنا شعور غريب... شعور ملؤه الغبطة بربوع لم نصلها بعد.

إنها وادان! إنها ليست حجارة ورملا فحسب...بل هي قصة ترويها الأرض والزمن منذ مئات السنين.

أهلا بكم معنا نحن فريق الوكالة الموريتانية للأنباء، في هذه الرحلة التي نستنطق من خلالها المجرد والمحسوس، في طريقنا إلى مدينة وادان، بمناسبة مهرجان مدائن التراث في نسخته هذا العام.

انفكت قبضة زحمة السير عن سيارتنا ذات الدفع الرباعي عند المنفذ الشمالي للعاصمة نواكشوط، فأفلتت منها كما يفلت غزال الصحراء من قبضة الخطر الداهم.

يممتْ وجهها شطر جهة الشمال.

أخذت الطريق المعبد بالأسفلت، وبدأت تلتهم المسافة بسرعة هائلة كأنها استبدلت وقودها بوقود اللهف إلى وادان.

انقضى من المسافة ما ننهي فيه دعاء السفر ونتأكد من أن كل شيء على ما يرام.

ما زالت بقية مراعي فصل الخريف شمال مدينة نواكشوط تحتفظ ببعض خضرتها لأن أجواء الشتاء أنقذتها بما جادت به من ندى ورطوبة.

كان مشهدا تختلط فيه خضرة النبات ونعومة الهواء وذهبية الرمال واتساع الأفق.

النسيم المنعش ظل يتخلل منافذ السيارة بشكل مريح في الضحوة الشتوية العجيبة.

إنها ساعة توازنت فيها كفتا ميزان البرد والحر اللتيْن ظلتا في تساو وتعادل بعضا من الوقت.

والنسيم مازال يبعث إلينا سهامه الناعمة التي كلما غشيتنا بكثرة كلما تسللت إلينا خيوط النعاس بكل مكر واحتيال.

صورة كأس الشاي كانت تتراقص في خيالاتنا مع صداع خفيف يحكم قبضته على الرؤوس.

ظل ماثلا أمام خيالنا.. نمسكه.. نحس دفئه.. نرى خيوط سخونته تتصاعد في عربدة خفيفة توصل رائحة نكهته المنعنعة إلى الخياشيم.

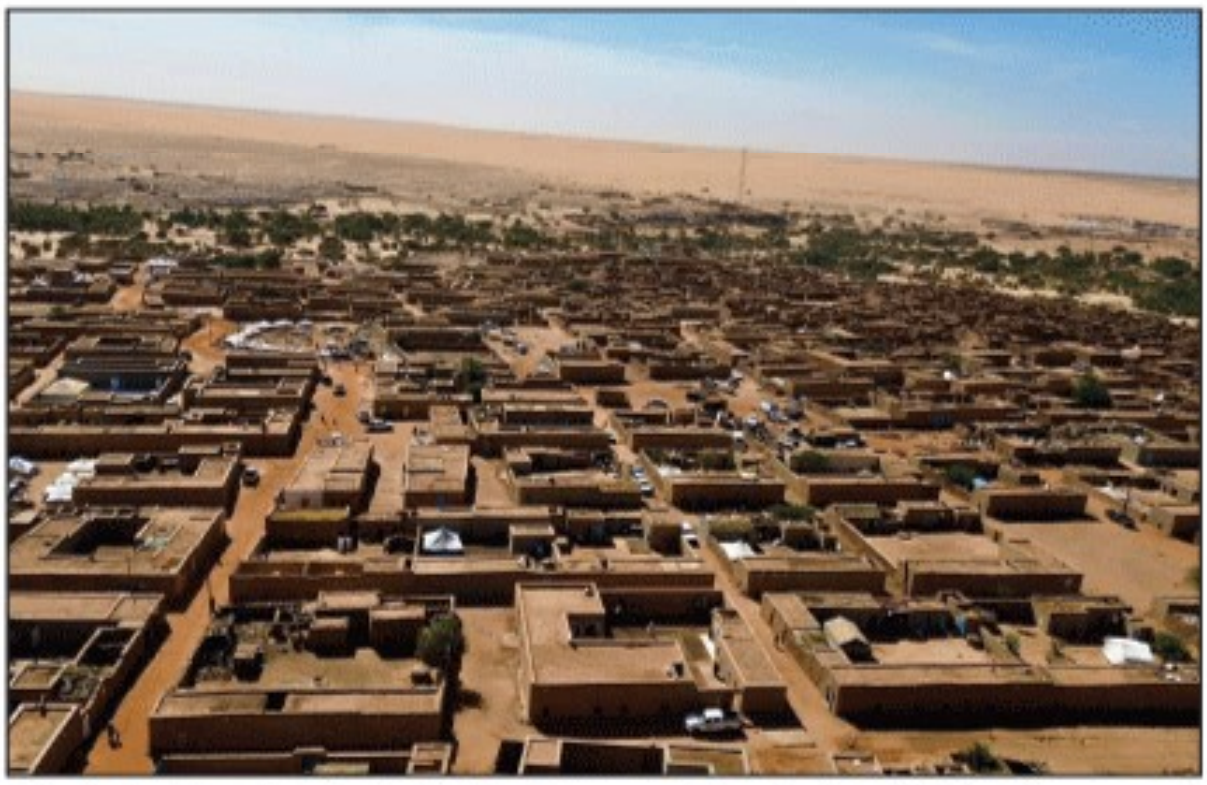

نتجرعه جرعتين متلاحقتين في لمح البصر فتصرفان ما بنا من صداع وغثيان.

كانت لحظة من خيال الشاي حين ينذر بمآلات عاقبة الإدمان، ربما هو إدمان يشبه إدمان الزمن على الزّهو والاعتزاز بوادان.

وفجأة لمس السائق زرا في لوحة السيارة عن يمينه، فأنشدت طَيْبةُ الثرى ديمي: أراك عصي الدمع.. شيمتك الصبر ...أما للهوى.. لم تكمل بيت أبي فراس حتى أعلن الذهن حالة طوارئ غيبته عن الواقع وسافرت به في معارج الطرب الأصيل في مقام «التحرار» الموغل في الزمن والوجدان معا.

حتى مقام التحرار كان يذكر بوادان في أصالته وجماله وتأثيره.

أوليست وادان مقاما موازيا تسافر فيه الروح في دروب الذكرى في انتقال سريع من السياق إلى الذاكرة ومن المحسوس إلى المجرد ومن المجرد إلى المحسوس.

الشمس التي مازالت تبسط هيمنتها المطلقة على محلِ وسطِ من طبق السماء ظلت تراقب الأرض من تحتها دون إيذاء، كأنها ندمت على ما أسلفت من جبروت وطغيان خلال فصل الصيف.

مازلنا ننهب الأرض وهي تسبح في أمواج

السراب المخادع الذي ظللنا نلاحقه دون أن نصل إليه.

وقبل أن نبلغ مشارف مدينة أكجوجت بدأت الأرض تُبين عن تضاريس جديدة.

الكتلة الصخرية العملاقة الجاثمة على الأرض تبدو كأنما نزلت من السماء وارتطمت بالأرض وبقيت متشبثة بها في ذهول أبدي تام.

هي أول ما صادفنا من تلك الكتل الصخرية العملاقة المتناثرة على الأرض منذ عصور حجرية سحيقة.

والإبل وحدها لا تأبه لشيء.. إنها تتقن فن اللامبالاة .. تتابع مسيرها السرمدي في تلك الأرض التي تشبهها قسوة وصلابة وكبرياء.

بدأت الأرض تتضح بشكلها الصخري الكثيف كلما اقتربنا من مدينة أطار.

شرعنا في شيء يشبه الدوران.. نتلوى مع الطريق ونصعد طورا ونهوي أطوارا.

والكتل الصخرية المتناظرة في تلاحم مع الكثبان تبدو من بعيد كأنها سفن عملاقة ترسو على شاطئ الرمال.

تضاريس صعبة وبرد قارس

وفور انصرافنا من أطار إلى وادان خلع علينا الشتاء رداء صقيعه فاضطرنا إلى مضاعفة الأثواب على أجسادنا التي شرعت في الرجفان والاصطفاق، وكلما توهم أحدنا انكشاف غم البرد داهمته موجة صقيع مفاجئة فجثم وسكن.

كانت أنفاسنا دخانا يكشف عنه الضوء على شكل خيوط غيوم تتلاشى في الهواء.

أمواج الصقيع الهادرة في كل اتجاه تجتاح الجبال والوهاد والسهول الواسعة كما تجتاح الجيوش الضخمة المدن والقلاع والحصون المنيعة.

كنا نعجب لهذا الزمهرير الذي كلما احتجبنا عنه كلما غشينا بقوة وتمكن.

حيينا شنقيط عن أيماننا وهي وادعة تحت جنح الليل والظلام على أن نلتقي في موعد لا نخلفه.

موسم التمر والغناء

بدأنا نجد ريح وادان. نسمع صوتها. نتخيل واحاتها، ونشتم عبق تاريخها ونحن نلامس مخطوطاتها ونلج مكتباتها النادرة.

ونتصور موسم التمر وموسم الغناء.

النخيل في وادان وفي آدرار كلها لا يثمر إثماره خارجهما، بل يبدو كما لو أنه يُحدّث عن قصة الصبر الطويل مع كل حصاد.

فكلما بدأ موسم الإثمار (الكيطنه) تدلت العذوق من رؤوس النخيل، وانتعشت رائحة الهواء، وانداحت الظلال، وأقمرت الليالي، وشرعت الآدراريات في وادان وغيرها في موسم مواز هو موسم الغناء.

هو موسم قديم بطقوسه وعاداته وأنماطه المتوارثة من جيل إلى جيل.

ففي كل ليلة من هذا الفصل تستحيل الأرض بصعيدها الصخري الصلب روحا ذات حس مرهف.

الليل يرسل أطياف رياحه الناعمة إلى السامرين تناغما مع حالة الناس وإيقاع الطبل أو آلة «جَركَان»، في تناسق منتظم مع أوزان أغاني الظل «أشوار الظل» المتغلغلة في أغوار الروح.

أما الأفق، فإنه ما إن تصدح الحناجر بالغناء حتى يتحول إلى سقف كوني عجيب مُزيّن بالجواهر واليواقيت التي تتوهج طربا كأنها آنست وصال السماء بالأرض بعد طول فراق.

في هذه اللحظة الطربية العجيبة تشعر كأن المسافة انعدمت ما بين الأرض والسماء.

فالغناء هنا ليس هواية فحسب... إنه نبض ثان يسري في عروق نساء آدرار.

إنه شيء جميل ينبعث من مرقده في النفوس مدة موسم التمر من كل عام.

وليس هذا الموسم عادة اجتماعية سارية أكثر مما هو صيحة تحد كبرى في وجه الطبيعة التي تمادت في عنادها وسطوتها وجبروتها.

إنه بمثابة إعلان انتصار على قيظ الصيف وزمهرير الشتاء وشح الماء وقسوة الأرض وندرة المطر ووعيد الريح.

إنه احتفال بالوجود نفسه.. وأيا له من وجود.

معالم وادان.. السور والمآذن والأنوار

وتراءت لنا أنوار وادان من بعيد وهي تتلألأ في بحر من الظلمات.

هو مشهد من يراه يحسب أن السماء بكواكبها ونجومها اللماعة انطبقت على المدينة.

هنا وادان.. هنا تشرق أنوارها وهي تحتفل بمهرجان مدائن التراث.

هنا يحتاج الوافد الجديد إلى أن يضبط أفكاره قبل أن يضبط خطاه.

هنا يسرح الوافد في خيال من ماض غابر.

سيرى وادان في كامل شبابها وعنفوانها مدينة لا كالمدائن.

المآذن تطاول أبراج السماء فيتراءى النخيل بينها باسقا يتمايل برقة على وقع الرياح.

والسور، حارس المدينة الأمين يطوقها بدفء وحنان وهو حريص على أن لا يدخلها شيء أو يخرج منها دون إذن منه.

والقوافل تدخل المدينة وتخرج منها من كل اتجاه محملة بالتجارة والكتب من كل جنس ونوع.

والأسواق مفعمة بضجيجها المعتاد والبضائع والسلع في غاية الوفرة، والموازين لا تكف عن التراجح والتعادل، والتجار لا يكفون عن البيع والمقايضة والشراء.

أما شارع الأربعين، فهو روح المدينة ونبضها.. فيه علماؤها وطلاب علمها ومكتباتها ومخطوطاتها وكتبها المؤلفة في كل فن.

وتدوي المآذن بالأذان، فتستعيد المدينة توازنها العجيب بين الدنيا والدين والتجارة والعلم والسوق والمحراب.

وادان ليست مخادعة كالسراب ولا تشبهه إلا في حقيقة واحدة وهي أن المسافر لا يصل إليها إلا ليسافر إليها من جديد، لأنه إن بلغها فسيبدأ رحلته الحقيقية الموغلة في دروب الماضي السحيق والذكرى التي لا نهاية لها.

جامع وادان:

قلب المدينة النابض ومنطلق إشعاعها الحضاري

إعداد/ محمد العتيق

في قلب الصحراء في الطرف القصي من آدرار مما يلي المجابات الكبرى، تنتصب مئذنة المسجد العتيق بوادان، شاهدة على قرون من الصدع بالحق والنداء للصلوات، في هذه المدينة التاريخية التي تكاد تضج بتراث مادي متنوع يميزها عن باقي أخواتها من مدائن التراث، لم يكن مسجدها العتيق مجرد مكان للصلاة، بل كان النواة الأولى لمشروع حضاري متكامل، وقبلة للعلماء، وقلبا نابضا للمدينة.

مع الوقت تحول المسجد إلى رمز علمي وروحي فريد، فمن ساحته انبثقت الحياة نحو «شارع الأربعين عالماً»، ذلك الشارع الأعجوبة الذي يربط بين المسجد العتيق في سفح الجبل والمسجد الجديد في أعلاه، وتطل على جنباته منازل أربعين عالماً.

يقف مسجد وادان شامخا على ربوة من الذاكرة، لا بوصفه مبنى من طين وحجارة، بل كصفحة مفتوحة من تاريخ موريتانيا العميق، فمنذ قرون، ظل هذا المسجد العتيق قلبا نابضا لمدينة وادان التاريخية، ومرآة صادقة لرسالتها العلمية والروحية، حيث تمازج صوت الأذان مع حفيف القوافل، وتجاورت العبادة مع العلم، في مشهد يجسد عظمة المكان وسمو الزمان.

إن رمزية مسجد وادان لا تكمن فقط في قدمه أو هندسته الأصيلة، بل في كونه شاهدا حيًا على دور المدينة كمحطة إشعاع حضاري، وملتقى للعلماء والفقهاء، وركيزة من ركائز الهوية الثقافية والدينية للبلاد.

للمسجد العتيق بوادان مئذنة من المآذن النادرة شكلا وتصميما وهذا ما أكسبها صبغة تراثية نادرة، فقد بنيت على قاعدة صلبة من الحجارة الملساء، وقام عليها من له خبرة ومهارة في عمل الحجارة، حيث استغرق بناء المسجد أسبوعا واحدا كما تقول الرواية الوادانية.

وللوقوف على تاريخ المسجد وحكايته بالتفصيل التقت مجلة الشعب إمامه السيد محمد الشيخ ولد أحمد، الذي قال إن تاريخ مدينة وادان مع المساجد بدأ من مسجد قرى قديمة تدعى تفرله والتي اندثرت وقامت على أنقاضها مدينة وادان، وقد أقيمت فيه أول صلاة جمعة 145 سنة خلت للهجرة إبان حملة عبد الرحمن بن حبيب ابن عقبة بن نافع، والذي أقامها اثنان من رفاقه من بني عمومته يعرفان بالأخوين الفهريين عثمان العاقب وأبو بكر، وتركا بذلك وثيقة مكتوبة على جلد

الغزال نهبها الفرنسيون عام 1909م عند احتلالهم لوادان كما قال بذلك باحثون رأوها بأعينهم محفوظة في متحف اللوفر.

وأضاف أنه بعد انهيار دولة المرابطين وقيام الموحدين، جاء إلى المنطقة علماء صلحاء مصلحون

آخوا بين بعض سكان تلك القرى القديمة وجمعوهم في المدينة التي بنوها على مرتفع قرب تلك القرى وهي وادان الأثرية، بادئين بنيانها بالمسجد العتيق القديم الذي تقول أرجح الأقوال وأوضحها وأشهرها عند المؤرخين والباحثين أنه شيد عام 546 هجرية، وهؤلاء العلماء تقول الروايات المتواترة أنهم جمعتهم الدراسة على القاضي عياض، وغيره من علماء وقته، وهم الحاج يعقوب الفهري العقبي، والحاج عثمان الأنصاري الخزرجي والحاج على الصنهاجي اللمتوني، والحاج عبد الرحمن الصائم الخزرجي الأنصاري أيضا.

بدأ هؤلاء العلماء مشروعهم العلمي الذي جعلوا من المسجد مركزه فكانوا من أرباب التحصيل العلمي الكثير، بنوا مشروعا علميا متكاملا وتعاونوا مع سكان القرية ممن استجابوا لهم وانخرطوا في مشروعهم وبنوا بأنفسهم دورا متاخمة، أو ملاصقة للمسجد كانوا يقضون فيها جل نهارهم، للتدريس والتعلم والعمل، ولهم دور أخرى منفصلة عن المسجد تسمى دور الحريم مخصصة للعيال والنساء.

وأكد أن المسجد كان محور المدينة تدار فيه الأمور الدنيوية والأخروية فكان بمثابة قطب الرحى للمدينة كلها، أشار إلى أنه من الواضح، ومن المعلوم ضرورة أنه لم تكن في هذه الربوع دولة مركزية بعد المرابطين، وإنما كانت قرى ومجموعات تحكمها نظم عشائرية ولكن في وودان كان هناك شبه دولة حيث انتظم سكان المدينة خلف عرفائها، وكلهم أو جلهم من الفقهاء، والجميع ينتظم كذلك خلف الأكبر سنا والأكثر علما وهو إمام المسجد عادة وقائد البلدة، ويرأس جماعة الحل والعقد، التي تعقد جلساتها في المسجد للبت في أمور البلدة وشؤون الناس، ويسيرون القوافل، ويأخذون الزكاة، ويوزعونها على مستحقيها، بل كانت تقام في وادان الحدود، فالإمام أحمد أيد القاسم مثلا كان يقيم الحدود في ودان، وله في ذلك نوازل منظومة استمدها من روح الفقه الإسلامي حسب فهمه، إذ يرى أنه لا يمكن أن تعطل الحدود الشرعية لأنها أنزلت لتطبق، ولأن الناس بحاجة إليها.

وأضاف أن إقامة الصلاة في المسجد العتيق القديم الذي تقع أطلاله في سفح الهضبة قرب السور، استمرت لقرون، حتى نشب خلاف فقهي حول الإمامة وتوريثها، فانتقلت جماعة من أهل المدينة يرأسهم الإمام محمد ابن محمد ختار إلى المنتهى الشرقي لشارع الأربعين وبنوا المسجد الحالي القديم الجديد، وكان ذلك قبل حوالي 200 سنة، ومع الوقت انتقلت جموع المصلين إلى المسجد الجديد ليندثر المسجد القديم وباندثاره هجرت الأحياء المجاورة له لتتحول الى أطلال تشهد على تاريخ طويل من الانشغال بالعلم والعبادة.»

هكذا يظل مسجد وادان أكثر من معلم أثري صامت، إنه ذاكرة تنبض بالحياة، وحارس أمين لروح المدينة وتاريخها العريق. فمن بين جدرانه تشكلت ملامح العلم والتقوى، وعلى عتباته تعاقبت أجيال حملت مشعل المعرفة والإيمان عبر الزمن، واليوم يقف هذا المسجد شامخا، ليقدم دعوة مفتوحة لصون هذا الإرث الفريد، حتى تبقى وادان منارة مضيئة في سجل الحضارة الموريتانية، وجسرا يربط الماضي المجيد بالحاضر الطامح إلى مستقبل مشرق.

المكتبات الأهلية في وادان:

مخطوطات عتيقة ووثائق نادرة

إعداد/ النبهاني ولد أمغر

تأسست مدينة وادان في أشهر الروايات وأكثرها تداولا سنة 536 للهجرة 1141 للميلاد، وقد بدأت علاقة مدينة وادان التاريخية بالكتب بشكل مبكر، حيث غصت بالمكتبات الأهلية التي ضمت ذخائر الكتب ونفائس المخطوطات ونوادر الوثائق، وكان ذلك نتاجا طبيعيا لكون المدينة ظلت لقرون عدة جسر الثقافة بين المشرق والمغرب العربيين وصلة وصلِ حضارية مع إفريقيا الغربية.

وتغطي هذه الذخائر المعرفية في هذه المكتبات، فترة زمنية تمتد من القرن الرابع الهجري إلى القرن الرابع عشر، على تفاوت في ذلك وتحتضن هذه المكتبات اليوم بيوتات وادانية عريقة كانت لها أدوار علمية وثقافية مشهودة بالمدينة.

ومن الملاحظ تناقص هذه المكتبات بشكل مخيف جدا، حيث أن أعدادها التي كانت بالعشرات، أصبحت اليوم تكاد لا تتجاوز العشرة إلا بالقليل، لقد ضاعت الكثير من الكتب والمخطوطات والوثائق، بفعل عوامل على رأسها الهجرات غير المنظمة من المدينة ومواسم الجفاف والقحط التي أصابت المدينة أكثر من غيرها، وكذلك طرق الحفظ وكثرة السرقات وغير ذلك، مما جعل مدينة وادان رغم تسيُدها العلمي وريادتها المعرفية المشهودة، وانتهاء معظم الأسانيد العلمية إليها، تعتبر اليوم من أقل المدن التاريخية الوطنية مكتبات وكتبا.

عود على بدء

تأسست المكتبات الوادانية على شتات ما كانت تأتي به رحلات الحج من كتب، خاصة الرحلات التي يقوم بها العلماء والمشايخ، فغالبا ما تمر هذه الرحلات ذهابا وإيابا عبر مسارات تقود إلى حواضر المغرب العربي ومصر وربما امتدت إلى بلاد الشام، وأحيانا يسلكون مسارا يمر عبر شمال مالي والنيجر واتشاد والسودان ومن ثم يركبون البحر الأحمر نحو الحجاز، وفي جميع هذه المسارات كان الوادانيون يشتغلون بشراء الكتب ونسخها، خاصة الكتب التي لا يعرفون أو التي سمعوا عنها وتاق نهمهم المعرفي لها، ولعل خزانة العالم الرحالة الطالب أحمد ولد اطوير الجنة، خير شاهد على مساهمة رحلات الحج في تكوين المكتبات، فقد جلبها في رحلته إلى الحج وذكر أن أهم مكوناتها كانت هبة من السلطان العلوي بالمغرب الأقصى عبد الرحمن بن هشام، الذي أعطاه كثيرا من المال لشراء الكتب،

كما يذكر في رحلته: رحلة المنى والمنة، أنه حصل أثناء مقامه في تونس على هدايا كثيرة من الكتب.

ومن هذا الجهد والمسعى تجمعت النواة الأولى للمكتبات الوادانية، وكان من تقاليد الأجيال الأولى من القوم استئجار بعض الخطاطين المهرة لنسخ الكتب، ثم تعززت هذه المكتبات من خلال رافد التآليف الوادانية التي شكلت في مرحلة مبكرة من تاريخ المدينة جزءً مهما من هذه المكتبات، فمن الوادانيين من استظهر المتون و وعاها، فشرحها وعلق عليها، ومن أقدم المؤلفات في عموم البلد كتاب موهوب الجليل بشرح الشيخ خليل، للعلامة الوادانى محمد بن أحمد بن أبي بكر، الذي كان حيا سنة 933، للهجرة، وقيل كان حيا بعد 1000 للهجرة، وكذلك العلامة سيدي أحمد الفزاز بن محمد بن يعقوب، الذي تنتهي إليه معظم الأسانيد الفقهية في هذه البلاد، فقد أخذ عنه شيخ الشيوخ الإمام أحمد أيدُهْ القاسم، وللعلماء الثلاثة مؤلفات كثيرة، وقد ضاع منها البعض ولكن الكثير منها عثر عليه في أماكن متفرقة، خاصة في منطقة «الكبله».

ومن أندر ما تم العثور عليه مؤخرا نسخة من كتاب مواهب الجليل للحطاب، بخط يد العلامة سيدي أحمد الفزاز بن محمد بن يعقوب، الذي ذكرنا قبل قليل، وقد تكون عملية نسخه لهذا الشرح الذي يعتبر من أكثر شروح مختصر خليل شهرة، تمت في وادان أو تيمبكتو أو طرابلس الغرب، لأنه كان يدمن الترحال بين هذه المدن الثلاث.

ويزخر ما تبقى من مكتبات وادان بجميع العلوم والمعارف، مثل علوم القرآن والحديث والسيرة النبوية الشريفة والفقه خاصة الفقه المالكي والعربية وعلومها وآدابها وعلم الفلك والرياضيات والهندسة والتاريخ والطب والجغرافيا وغيرها.

وقد ساهمت هذه المكتبات خلال القرون الماضية في إثراء المشهد الثقافي في البلاد وعلى امتداد السوح المشرقية والمغربية، وأغرت الباحثين بالتوجه إليها من كل مكان، بحثا عن المعارف.

ولا يخفى الاهتمام العالمي الكبير بمكتبات وادان، فقد وجهتْ «اليونيسكو» قبل سنوات نداء استغاثة من أجل الاهتمام بالتراث الإنساني المهدد في مدينة وادان التاريخية وفي نظيراتها الوطنية الثلاث: شنقيط، وتيشيت، وولاته، بهدف المسارعة إلى دمجها في المدن التاريخية الواجبة الحماية.

بين الرفوف

تشير كل المعطيات إلى أن حجم المكتبات في وادان كان كبيرا جدا وكانت تغص بنوادر الكتب وفرائد المخطوطات والوثائق، ويذكر الباحث الدكتور الخليل النحوي، في كتابه المنارة والرباط، أنه في منتصف الثمانينات من القرن الميلادي المنصرم كانت تصل إلى حوالي ثمانين مكتبة أهلية، إلا أن أعداد هذه المكتبات تناقصت بشكل حاد جدا، بفعل مجموعة كثيرة من العوامل التي تضافرت لتطمر كثيرا من هذه المكتبات، حتى لم يبق منها اليوم إلا حوالي عشر مكتبات فقط، فقد فعلت العوامل المناخية والهجرات غير المنظمة والسرقات فعلها في مكتبات وادان.

إن ما تبقى من مكتبات المدينة التاريخية، يشهد على فرادتها وتميزها الكبيرين، ومن أبرز المخطوطات وأندرها، كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي، الذي تم خط النسخة الوادانية منه على رق الغزال في حياة مؤلفه المتوفى سنة 346، للهجرة، وكتاب موهوب الجليل بشرح الشيخ، خليل وهو كتاب لأحد أعلام وادان كما أسلفنا، ومؤلفه كان حيا سنة 933، للهجرة، كما أورد صاحب فتح الشكور، وسبق لنُسخ هذا الكتاب أن انعدمت في وادان؛ مسقط رأسها - إن صح التعبير - قبل أن يتم العثور على نسخ منه في منطقة «الكبله» وفي تيشيت وتيمبكتو، وقد قام بتحقيقه مؤخرا الباحث الطالب أحمد ولد اطوير الجنة، الذي بذل في سبيل ذلك جهدا كبيرا إلى أن أخرجه محققا ومطبوعا.

ومن المخطوطات الوادانية الضائعة التي يجري البحث عنها، كتاب مفتاح الكنوز في طلاق النشوز والنوازل لشيخ الشيوخ أحمد أيده القاسم، ولكن بالمقابل تم استرجاع بعض المؤلفات الوادانية الضائعة وحتى المنسية والمجهولة، ومن ذلك كتاب الأضواء الشمسية للحبيب باب بن محمد الهادي، وهو من علماء القرن الحادي عشر الهجري، وكذلك كتاب الدملوك المسبوك في هذيان الهشتوك، وهو رد من أحد علماء وادان على عالم نوازلي مغربي.

ومن الكتب التي تم استرجاعها مخطوطة كانت مجهولة، تسمى الإعلام بوفيات العلماء الأعلام، وهو نظم نادر لأبي العباس أحمد بن الأمين بن الفاضل الحاجي اليعقوبي، الوادانى أصلا المراكشي موطنا، وكان صديقا لملك المغرب في أيامه، وقد اهتم الملك بكتابه هذا اهتماما عظيما ورصع نسخة منه بالذهب.

ولا تقتصر مكتبات وادان على الكتب والمخطوطات النادرة فحسب، بل تعج بالوثائق الثمينة جدا، والتي تعطي في

جانب كبير منها صورة علمية وثقافية واقتصادية واجتماعية وسياسية عن المجتمع الوداني، على امتداد قرون متتالية من الوهج المعرفي والتقدم الاقتصادي، وأوائل هذه الوثائق تعود إلى 1004، و1006 للهجرة، وقد علمنا من قبل أحد الباحثين الوادانيين بوجود نسخة من وثيقة وادانية كتبت في وادان تعود إلى تاريخ قبل ذلك بكثير، وقد كتبت الوثيقة في وادان القديمة (تفرله) سنة 145 هجرية، وملخص هذه الوثيقة أن سكان (تفرله) المسوفيين الصنهاجيين والأخوين الفهريين، صليا الجمعة في مسجد (تفرله) الذي ما زالت أطلاله ماثلة للعيان، والنسخة الأصلية من الوثيقة توجد في متحف اللوفر (MUSéE DU LOUVRE) الفرنسي، وهذه الوثيقة تشير إلى أن الإسلام دخل وادان في مرحلة مبكرة جدا، وإن كانت كل المعطيات التاريخية تؤكد أن أوج انتشاره كان مع قدوم الحجاج تلامذة القاضي عياض، وتأسيسهم لوادان الحالية.

الواقع اليوم

توجد في مدينة وادان، اليوم حسب ما يؤكد الباحث في تاريخ المدينة وإمام جامعها العتيق، محمد الشيخ ولد أحمد ولد حمُّد ولد أهْن، حوالي عشر مكتبات، وتتفاوت هذه المكتبات في ثرائها وتنوع مخطوطاتها ووثائقها، ومن هذه المكتبات مكتبة أهل عابدين سيدي، التي يبلغ عدد مخطوطاتها 209 مخطوطات في جميع المواضيع المعرفية ومن أهمها صحيح البخاري وصحيح مسلم، وغيرهما.

ومكتبة أهل محمد السالك بن داهي، التي

يوجد بها 147 مخطوطا تغطي عديد الحقول العلمية والمعرفية، ومن أقدم مخطوطاتها، كتاب فتح الرب المالك لشرح ألفية ابن مالك، لمؤلفه عبد الله محمد بن قاسم، الشافعي، المتوفى 763 للهجرة، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، لمؤلفه ناصر الدين عبد الله بن عمرو الشافعي البيضاوي، المتوفى 1124 للهجرة.

وكذلك مكتبة محمد الأمين بن داهي، وتتزين رفوفها بحوالي 82 مخطوطا، ومن أقدمها شرح رسالة الوضع في النحو للسمرقندي، المتوفى 973، للهجرة.

ومنها مكتبة أهل أحمد بن حمُّد بن أهْن، وعدد مخطوطاتها 67 مخطوطا، ومن أقدمها كتاب نوازل أحمد أيدً القاسم الوادانيي.

وكذلك، مكتبة أهل محمد بن الحاج، التي يوجد بها 64 مخطوطا، من أقدمها، كتاب إضاءة الأدموس ورياضة الشموس، لمؤلفه أحمد بن عبد العزيز السجلماسي، المتوفى 1134، للهجرة.

ومنها، كذلك، مكتبة أهل ياي بوي، وعدد مخطوطاتها 63 مخطوطا من أندرها كتاب ضياء التأويل في معاني التنزيل، لمؤلفه عبد الله بن محمد بن عثمان فودي، المتوفى 1313 للهجرة، وكتاب كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ، لمؤلفه محمد صالح بن عبد الوهاب، المتوفى 1318 هجرية.

وكذلك، مكتبة أهل الفاضل، وعدد مخطوطاتها 39 مخطوطا، من أندرها تخميس ابن مهيب للفزازي.

ومنها، مكتبة أهل أحمد شريف الأولى، وعدد مخطوطاتها 24 مخطوطا، من أقدمها كتاب المنح المفيدة في شرح الفريدة، من تأليف جلال الدين عبد الرحمن السيوطي.

وكذلك، مكتبة أهل عيدي، وعدد مخطوطاتها 22 مخطوطا، من أندرها الجامع الصحيح للبخاري.

ومنها، مكتبة أهل الإمام بن صالح، وعدد مخطوطاتها 11 مخطوطا، من أهمها نوازل الكصري، من تأليف الكصري بن محمد بن عثمان.

وكذلك مكتبة أهل ملاي الزين بن ملاي عبد الرحمن، ويبلغ عدد مخطوطاتها 9 مخطوطات، ومن أقدمها كتاب مواهب الجليل شرح مختصر خليل، لمؤلفه محمد الحطاب.

هذا وتوجد مكتبات أخرى في المدينة، إلا أنها لم تخضع للفهرسة مثل التي ذكرنا كما يقول محدثنا الباحث الإمام محمد الشيخ، ولذلك فهي غير معلومة لدى المهتمين، وربما يكون أصحابها لسبب أو لآخر قد آثروا أن تبقى بعيدة عن الأنظار كنوع من المحافظة، مع أن الأسلم أن يتم تصنيف هذه المخطوطات ومعرفة حقيقتها.

ولا يخفي محدثنا الباحث الإمام، قلقه من التناقص الشديد للمخطوطات الوادانية وضياع الكثير من المكتبات، معيدا ذلك إلى الهجرات التي شهدتها المدينة لملاك هذه المكتبات وتركها في دور حجرية وطينية معرضة لعوامل الطبيعة القاسية، أو سقوطها في يد من لا يعرف قيمتها، وغير ذلك من العوامل بالإضافة إلى نهبها وسرقتها بهدف بيعها للسائحين بثمن بخس، مطالبا بضرورة إنقاذ ما يمكن إنقاذه من هذه الثروة الوطنية التي لا تقدر بكنوز الأرض.

الأطباق الوادانية التقليدية:

المائدة التي رسمت هُوية المدينة

إعداد/ محمد العتيق

ظلت مدينة وادان طيلة قرون محطة بارزة على طريق القوافل وقد تفاعل سكانها مع شعوب شتى واحتكوا بثقافات عديدة ما أنتج عادات وتقاليد مميزة لعل أبرزها الثقافة الغذائية حيث تميز المطبخ الوادانى بأطباق عديدة تفننت فيها المرأة الوادانية مستخدمة ما تنتجه الأرض من خيرات سقيت بعرق رجال ذللوا هذه الأرض العصية على الإنتاج الزراعي بسبب ندرة المياه.

يختزل المطبخ الوادانى أسلوب عيش عريق وتجربة إنسانية ضاربة في القدم، فالأطباق الغذائية في وادان ليست مجرد وجبات تقدم على المائدة، بل هي مرايا للبيئة، وشواهد على الكرم، ولغة صامتة تعبر عن هوية المجتمع وروحه المتآلفة.

من بساطة المكونات إلى عمق الدلالات، يعكس مطبخ وادان علاقة الإنسان بالمكان، حيث تتحول الوجبات اليومية البسيطة إلى احتفال يومي بالتراث.

وفي هذا التقرير، تستنطق مجلة الشعب سيدات وادانية اتخذن من الوجبات التقليدية والأنشطة السياحية مطية للنجاح والكسب الشريف المغري.

زايدة بنت بلال، سيدة في عقدها الرابع تنشط في مجال السياحة منذ أكثر من عقدين من الزمن تملك نزلا ومطعما يقدم الوجبات الوادانية التقليدية، ترى أن الثقافة الوادانية غنية ومتميزة وخصوصا في الغذاء وطرق اعداد الطعام، حيث تتعدد الوجبات اليومية مثل «لكسور» الوجبة التي شاع تحضيرها في عدة مناطق من البلاد إلا أن منشأها كما تقول الرواية هنا في وادان، كما أن المرأة الوادانية تحضرها بشكل متميز وفريد.

وهناك أيضا وجبات أخرى مثل «أبلز» و«سمبو»، وتضيف أن المطبخ الوادانى يكاد يعتمد بشكل كلي على ما ينتج محليا من زراعة وتنمية، فمن التمر المنتوج الزراعي الأكثر حصادا في المنطقة تحضر وجبات ومشروبات متنوعة مثل «لكتل» التي تصنع من تمر منزوع النواة يعرف بـ «لمفصص» تؤخذ كمية منه وتدور بتمريرها على دقيق الشعير المحمص لتكوين كرات من التمر عليها غشاء رمادي فاتح تقدم في المناسبات قبل اللحم المنضج، وكذلك هناك وجبة أخرى تصنع من التمر المجفف الذي يطحن مع الفول

السوداني، وتعرف بـ «ابرم بغجو» كان يتقوى بها المسافرون واصحاب القوافل، والآن تستعمل على شكل واسع في المدينة، أما المشروبات فقد اشتهر عند الوادانيين، تقول السيدة زايدة، مشروب «تاجه» الذي يعد من التمر.

وتشير إلى أن الوادانيين يقدمون على مائدة الفطور النشاء والتمر والزبدة، وفي الغداء يشتهر أهل وادان بتقديم «لكسور» و«سبو» التي تصنع من حبوب الشعير المنزوعة القشرة وتنضج طبخا مع اللحم إن توفر أو

يتم يدمه بالزبدة بعد نضجه، وهناك وجبة كانت قديما رئيسية على مائدة الغداء تصنع من خليط بين الأرز والكسكس، تعرف بـ «شكيت إن»، وعلى مائدة العشاء اشتهر الوادانيون بتقديم الكسكس المعد من «قمح أشيلال» أو «شعير أشيلال».

تؤكد السيدة زايدة على أن المطبخ الوادانى غني بالوجبات التراثية الفريدة التي كان لمهرجان مدائن التراث دور بارز في اظهارها وتعريف الجمهور عليها.

وتنوه إلى أن المحافظة على هذا النمط الغذائي المتميز يتطلب تفعيل المكونة التنموية للمهرجان ورفد المدينة بمشاريع تنموية كبيرة وخصوصا المجال الزراعي، فالمحاصيل الزراعية تعد المكون الرئيسي للوجبات الوادانية التقليدية.

أما محمودة بنت امبارك، السيدة الأربعينية، فقد التقتها مجلة الشعب في دكانها البسيط الواقع غير بعيد من منصة عروض المهرجان، تقول إنها امتهنت صناعة الوجبات التقليدية بسبب زيادة الطلب عليها وخصوصا أوان مهرجان مدائن التراث ففي نسخه في المدينة يزداد طلب السكان على

هذه الوجبات وكذلك الزوار، فالوجبات الوادانية تراعي الذوق والقيمة الغذائية ، وتؤكد أن هذه الوجبات تنم عن ذوق حضاري رفيع لدى سكان هذه الربوع وتعلق بالأرض وما تنتجه من خيارات.

وتضيف أن الوادانيين لديهم وجبات خاصة بهم وأخرى يشتركون فيها مع باقي سكان آدرار والمنطقة، كما أن هناك أيضا بعض الوجبات التقليدية التي كان مهدها في وادان كوجبة «لكسور» ذائعة الصيت في الولاية والوطن ككل، مع أن أهل وادان احتفظوا بنمط خاص ومميز لهذه الوجبة تحضيرا وإنضاجا.

وادان وتجارة القوافل: ارتباط صنع مجدا

إعداد/ محمد العتيق

كانت وادان، المدينة التي تستلقي على تخوم الصحراء الكبرى، محطة مهمة على طريق القوافل القديم الذي نسج خيوط الاقتصاد والحياة عبر الرمال.

فمنذ قرون خلت، كانت تمر باستمرار من هذه المدينة القوافل المحملة بالملح والذهب والتمور والأقمشة، قادمة من أعماق الصحراء ومتجهة نحو حواضر المغرب والسودان الغربي.

وقد أسهم هذا الحراك التجاري في إنعاش اقتصاد المنطقة، فازدهرت الأسواق، وانتعشت الحرف، وتعززت مكانة وادان كمركز للتبادل الاقتصادي والثقافي، حيث لم تكن القوافل تنقل السلع فحسب، بل تحمل معها المعارف والعلاقات والأنماط الحياتية، لتجعل من وادان شاهدا حيا على دور التجارة الصحراوية في صناعة تاريخ المنطقة وازدهارها.

نشأة تجارة القوافل وتطورها في المنطقة

تعود جذور المسالك التجارية التي تعبر وادان والمنطقة ككل، إلى العصور القديمة، حين بدأ سكان شمال إفريقيا يجوبون الصحراء الكبرى طلبًا لتبادل السلع ومقايضتها. ومع مرور الزمن تحولت تلك الرحلات البسيطة إلى شبكة منظمة تتقاطع عند مدن كوادان وأخواتها من مدائن التراث اليوم متجهة نحو مدن رئيسية مثل فاس وسجلماسة وتمبكتو.

وقد اعتمد التجار حينذاك على الإلمام الواسع بالنجوم والظروف المناخية، وعلى مرشدين محليين خبروا أسرار الصحراء، وهو ما وفر عنصري الثقة والأمان للتجار، ورسّخ مكانة هذه المدن كصلة وصل حيوية في التجارة الصحراوية.

ولم يكن هذا النظام التجاري ليستمر لولا عنصران أساسيان هما الجمال والمرشدون. فالجمال بقدرتها على تحمل العطش والحرارة شكلت وسيلة النقل المثالية، فيما تولى المرشدون مهام تحديد المسارات بدقة، معتمدين على معرفتهم بمواقع الآبار والواحات المنتشرة في الصحراء. هذا الثنائي منح القوافل القدرة على قطع آلاف الكيلومترات للوصول بسلام إلى الأسواق الكبرى، مما جعل تجارة القوافل شبكة محكمة التنظيم.

حلقة وصل بين بلاد السودان وشمال إفريقيا

لقد كانت التجارة العمود الفقري لاقتصاد وادان وأخواتها حينذاك، فهذه المدن كانت حلقة وصل تربط إفريقيا جنوب الصحراء بشمال إفريقيا، ثم بأوروبا، وذلك من خلال هذه الشبكة التجارية التي كانت بمثابة قنوات حيوية لتدفق الثروات والمعادن والسلع الاستراتيجية، مما أثر بشكل كبير على الاقتصاد العالمي ككل في تلك العصور.

يقدر عدد جمال القافلة الواحدة بين ألف وثلاثة آلاف جمل. وتستغرق الرحلة في ذهابها وايابها

فترات قد تمتد إلى أشهر عديدة. وقد كانت طرق هذه القوافل تتغير من عصر إلى آخر بفعل الظروف السياسية أو الأمنية، في حين بقيت الاتجاهات الكبرى ثابتة تقريبًا، ونقاط الوصل كذلك، والتي حافظت على قيمتها ودورها مهما تبدلت الأحوال. كما أن الاستقرار الأمني كان عاملاً حاسمًا في ازدهار هذه التجارة، إذ ارتبط نشاط القوافل بمدى ما تحظى به من حماية وضمانات على طول الطريق.

وقد شكّل الذهب المستخرج من غرب إفريقيا، والملح والمواد الغذائية من قمح وتمر، ثم النسيج والحلي والحرير والفخار والحناء والتوابل بالإضافة إلى العاج أبرز السلع التي انتقلت عبر هذه المسالك.

ولعبت وادان، دورا اقتصاديا محوريا، حيث كانت نقطة انطلاق آمنة للقوافل المتجهة جنوبًا نحو غرب إفريقيا، ومحطة رئيسية على طرق التجارة العابرة للصحراء الكبرى نحو أوروبا. وقد ازدهرت هذه المدينة بفضل تنوع البضائع التي كانت تمر عبرها، وكذلك بسبب الملح الذي كانت تمتلك منه أكبر منجم في المنطقة في «كدية الجل».

البعد الثقافي والحضاري لتجارة القوافل

يتجلى الأثر الاقتصادي الكبير للقوافل في قدرتها على ربط اقتصاد وادان وغيرها من المدن المحيطة بمسارات تجارية في شمال افريقيا، وفي جنوب الصحراء كمملكة غانا، فساهم ذلك في نمو هذه المدن وتعزيز الروابط الاقتصادية مع محيطها.

ولم تقتصر أهمية هذه القوافل على كونها قد حوّلت هذه المدن إلى أسواق تجارية كبيرة فقط، وإنما لأنها أيضا حولتها إلى مركز لتبادل الأفكار والعلوم، مما منحها مكانة ثقافية وعلمية مرموقة، إذ كانت فضاء للتلاقح الثقافي وتبادل الخبرات، وربطت بين المذاهب واللغات والتقاليد والمجتمعات من شمال إفريقيا إلى غربها ثم إلى أوروبا، مما أدى إلى إثراء الحضارة في شبه المنطقة من جوانب متعددة.

ومن أبرز أبعاد تجارة القوافل ما يتصل بنقل المعارف والأفكار الدينية. فالتجار كانوا يصطحبون معهم كتبًا وعلماء وفقهاء وصوفيين أسهموا في نشر الإسلام بطرق سلمية قائمة على الدعوة والتواصل الثقافي، مما جعل من المدن الموريتانية القديمة منارات اشعاع حضاري أنارت المنطقة بنورها السمح.

كما حمل التجار القادمون بمعية هذه القوافل من بلدان الساحل الإفريقي معهم لغات ولهجات وإيقاعات موسيقية وأنماطا غذائية جديدة.

في المقابل، جلب تجار المغرب منتجات أندلسية ومتوسطية مثل الأقمشة والأواني وأدوات الحديد لينتج هذا التبادل فضاءات ثقافية هجينة تجلّت معالمها في الحياة اليومية لهذه المدن.

وحتى في مجال الحرف التقليدية، مثل صناعة الفضة والتحف والحلي، لعبت القوافل دورًا في خلق طلب تجاري واسع جعل من منتجات هذه المدن سلعة مطلوبة في أسواق الشمال والجنوب على حد سواء.

وهكذا أدت تجارة القوافل إلى ظهور علاقات تجارية وثقافية قوية بين وادان وأخواتها من مدن التراث وجيرانهم في شمال افريقيا وجنوب الصحراء، هذه الروابط هي أسس راسخة للعلاقات المعاصرة، التي تتسم بالتعاون والشراكة، فموريتانيا، بصفتها وريثًا لهذه المدن، تواصل تعزيز مكانتها كفاعل رئيسي في التبادل الاقتصادي والثقافي، خاصة من خلال تظاهرات كمهرجان مدائن التراث.

شواهد على قيمة القوافل التجارية

ومع تغير الأزمنة وتراجع طرق القوافل التقليدية، بقي أثرها حاضرًا في عمران وادان وذاكرتها الجماعية. فما نشهده اليوم من أطلال شامخة ومخطوطات نادرة هو شاهد حي على عصر كانت فيه القوافل تنبض بالحياة، وكانت وادان قلبا نابضا في جسد الصحراء.

وهكذا، لم تكن تجارة القوافل مجرد صفحة في تاريخ وادان، بل كانت الأساس الذي قامت عليه نهضتها، والسر الذي منحها مكانتها كإحدى مدن التراث الإنساني الخالدة، حيث يروي الرمل حكايات المجد، وتحفظ الجدران صدى خطى القوافل العابرة.

عبق تاريخي فائح يغري الباحث والسائح

إعداد/ النبهاني ولد أمغر

في عمق جبل «آدرار» الأشم، إلى الشمال الشرقي من مدينة شنقيط التاريخية، تتربع مدينة وادان التاريخية، وعلى كتفيها أكثر من تسع مائة عام من دَرْسِ العلوم وغرس النخيل وبذل التمور.

تقع مدينة وادان في الحيز الإداري لولاية آدرار، وتقدر مساحتها بـ 120.778 كلم2.

وتقطنها حوالي أربعة آلاف نسمة (حسب آخر إحصاء تم سنة 2023).

تأسست المدينة حسب المتواتر والمعتمد من الروايات المدونة، على يد مجموعة العلماء من تلامذة القاضي عياض السبتي، سنة 536، للهجرة، وبعد أن وصل العلماء إلى وادان قادمين من أغمات بالقرب من مراكش، سافروا شرقا إلى الحرمين الشريفين، لأداء مناسك الحج، ثم عادوا إلى وادان، بعد عامين من سفرهم عنها، لتبدأ المرحلة الفعلية من تأسيس المدينة بعد أن صَدَّرَ المؤسسون أسماءهم بلفظة «الحاج». وتحفظ لنا المراجع أسماء بعض الحجاج المؤسسين ومنهم: الحاج عثمان بن محمد اللبان الأنصاري الخزرجي والحاج يعقوب القرشي والحاج عمر اللمتوني، والشريف عبد المؤمن بن صالح، الذي واصل طريقه إلى مدينة تيشيت التي أسسها في عمق الصحراء، وبعد سنوات التحق بالحجاج المؤسسين لوادان الحاج عبد الرحمن الصايم، وهو ابن عم الحاج عثمان الأنصاري.

وتذكر بعض المصادر التاريخية دورا ضبابيا ما للمرابطين في تأسيس مدينة وادان، حسب ما يرى الباحث الدكتور عبد الودود ولد الشيخ.

قام الحجاج المؤسسون، ببناء مدينة وادان، إلى جوار مجموعة من القرى المسوفية والبافورية التي كانت قد أقيمت على مقربة من بعض الآبار التي حفرها بالمنطقة عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة، في أواسط القرن الميلادي الثامن.

وسرعان ما أهّل المدينة موقعها الجغرافي الفريد ومكانتها المعرفية والاجتماعية المميزة، لأن تصبح عاصمة للقوافل التي تجوب المنطقة ذهابا وإيابا في رحلة لا تتوقف، فلعبت بذلك دور الوسيط التجاري بين شمال إفريقيا وبلاد السودان، وأصبحت المدينة ميناء صحراويا يعج بالحركة ويضج بالنشاط، تتم فيه مقايضة السلع القادمة من بلاد السودان الصحراوية، كالذهب والحبوب والعسل، بتلك الواردة من بلاد الشمال الإفريقي والمشرق العربي و أوروبا، كالملح والتمور والأواني المنزلية والأقمشة والنسيج والمعدات المصنعة والورق والكتب.

لقد أدى الازدهار المعرفي والاقتصادي الذي شهدته وادان، ابتداء من القرن

الثالث عشر الميلادي إلى هجرات متتالية إليها من كل الجهات، فتوحدت على أديمها أعراق مختلفة وشكلت نقطة امتزاج عرقي وتداخل اجتماعي فريدين.

وادان.. واد من علم وأخر من تمر

يُفسر العلامة الرحالة دفين الحي القديم بوادان الطالب أحمد ولد اطوير الجنة، تسمية وادان بأنها تعني واديان: وادي العلم و وادي النخيل.

ولقد كان للتقدم العمراني الذي عرفته المدينة بفضل ازدهار التجارة بين طرفي الصحراء الشمالية والجنوبية وظهور اهتمام التجار بتسويق الكتب والورق من جهة، والخلفية العلمية لمؤسسي المدينة ومن تبعهم بإحسان من جهة أخرى، دور في ظهور مناخ مساعد على انتشار المعارف والعلوم، لتشكل المدينة رافدا معرفيا تدفق عطاؤه رقراقا في كل الاتجاهات، وتشكلت المحاظر والكتاتيب وكثر مرتادوهم وازداد الدارسون والعلماء، ومثلت وادان أول حاضرة علمية في البلاد يؤلف فيها شرحٌ لعماد الدرس الفقهي في هذه الربوع وذروة سنامه، مختصر الشيخ خليل، وهو «موهوب الجليل في شرح مختصر خليل» للعلامة محمد بن أبي بكر الحاجي الوداني، وهو من أوائل ما صُنف في هذه الربوع، وقد أخذ العلامة أحمد الفزاري الوداني؛ أولُ من أدخل كتاب شرح الحطاب إلى وادان، كتاب «مختصر الشيخ خليل بالسند المسلسل إلى الشيخ الحطاب، وإليه تعود كلُ أسانيد هذا الكتاب في البلاد».

إن الكثير من العلماء والباحثين ينظرون إلى وادان باعتبارها البوابة الأهم التي دخلت منها المتون العلمية من المغرب والمشرق ومصر والأندلس، لتتوزع على سائر الحواضر في البلاد وما جاورها، مشكّلة أعمدة الدرس المحظري في مختلف الفنون، ولا أدل على المستوى الذي وصلت إليه العلوم ودرسها في وادان من الشارع الذي مازال ماثلا للعيان في المدينة القديمة والذي يعرف بشارع الأربعين عالما، فعلى هذا الشارع وحده

كانت تُطلُّ أربعون من بيوتات العلماء المدرّسين.

ولا تزال مكتبات وادان، شاهدة على ذلك العصر الذهبي، رغم تعرضها لكثير من الضياع بفعل تهالك بناياتها وارتفاع الرطوبة وانتشار الآفات الضارة، وتعود ملكية هذه المكتبات في الأغلب للأسر التاريخية المعروفة في المدينة، والتي تتولى القيام بشؤونها والإشراف على صيانتها،

وتوجد في كل مكتبة من هذه المكتبات مخطوطات نادرة يعود عمر بعضها إلى ثمانية قرون.

وإذا كان واد العلم في وادان شكل علامة فارقة في تاريخها وتاريخ عموم البلد، فإن واد النخيل فيها لم يكن دونه، وكان ذلك التميز المعرفي مسنودا بتميز عملي طوّع أصحابُه الصخور والصحراء والرمل.

لقد امتهن أهل وادان الأوائل غراسة النخيل، وكانت تبدأ عندهم في شهر ابريل ومايو، وسبب اختيار شهر ابريل مبتدأ للغرس جاء من باب التبرك بشهر مولد النبي محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وقد تواتر أهل وادان على أن النخل الذي يغرس في هذا الظرف الزمني المبارك، لا يصاب بالآفات التي تصيب النخيل.

ودرج أهل وادان منذ القدم وإلى اليوم على تعيين رئيس مكلف بالنخيل وشؤونه المختلفة، وعرفت المدينة على مر تاريخها بجَنى رطبها الطيب والمتنوع، وكانت تصدّره إلى الحواضر، شمالا وشرقا وغربا وتحتفظ سجلات يوميات المدينة ببعث رجل واحد في يوم واحد بقافلة مكونة من خمسة وثلاثين جملا محملة بالتمر، إلى المدائن التي يتاجر معها الوادانيون.

وفضلا عن زراعة النخيل فقد اعتمد الوادانيون على نوعين آخرين من الزراعة هما الزراعة المروية، وتكون تحت النخيل الممتد على طول الوادي البالغ 9 كلم، والزراعة المطرية التي تكون في سهول تعرف محليا بـ «لكراير».

وإضافة إلى الزراعة، اعتمد الوادانيون على مقومات اقتصادية أخرى من أهمها الملح، وقد شكل ملح «سبخة الجل» عاملا مهما في المكانة الاقتصادية التي تمتعت بها المدينة على مر تاريخها، فقد كان ملوك بلاد السودان في غابر الأزمان يدفعون من الذهب مقابل الملح أكثر مما يدفعون مقابل أي بضاعة أخرى.

قبلة السائحين والباحثين

تقدم وادان للسياح والباحثين على حدّ السواء، جاذبية الصحراء الوطنية وعبق تاريخها الفوّاح وخصوصية المجتمع، مما يغريهم بزيارتها، حيث تتاح لهم فرصة الاستمتاع بالطبيعة الصحراوية ومناطقها البكر واكتشاف سر التقاليد الاجتماعية والغذائية والتعرف عن قرب على حضارة وطقوس المجتمع، هذا فضلا عن الأماكن السياحية الكثيرة المغرية والتي تحيط بالمدينة من كل جانب، مثل موقع كلب الريشات، وآثار القرى والحواضر المسوفية والبافورية والأزيرية، بالإضافة إلى ما تمثله المدينة القديمة بكل شوارعها وتفاصيلها وسورها القديم، ومكتبات تعج بنفائس المخطوطات ونوادر الوثائق، وتحف أثرية ملموسة ومشاهدة.

آثار لا تنطمس

تعج وادان بالمواقع الأثرية التي تحكي تاريخا حضاريا ضاربا في القدم، ويعدُ موقع كلب الريشات أو عين الصحراء، أحد المواقع السياحية التي تتوق لرؤيتها أفئدة الكثيرين عبر العالم، حيث يمثل ظاهرة غريبة على سطح كوكب الأرض، بسبب تكوينه الجيولوجي المدهش، فهو عبارة عن حفر ذات أشكال دائرية لها قطر ضخم يبلغ حوالي 46 كيلومترا، تحيط بها هالة زرقاء تشبه بؤبؤ العين يمكن رؤيتها من الفضاء الخارجي، حيث تظهر التكوينات الصخرية المحيطة بها على شكل جفن ومنها جاءت تسميتها «عين الصحراء» وقد اكتشفها الباحث الفرنسي تيودور مونو، في ثلاثينيات القرن الماضي، ومنذ ذلك الحين والبعثات الجيولوجية تتوالى على تلك المنطقة لدراسة ماهيتها ومحاولة إيجاد تفسير علمي لها.

وتقول بعض النظريات إن عين الصحراء تشكلت بفعل سقوط نيزك فضائي على تلك المنطقة فتكونت دوائر بيضاوية ذات صخور رسوبية، لكن بعد الدراسات المعملية لم يجد علماء الجيولوجيا دليلا موثوقا به على أي نوع من تغير الشكل أو تشوه في الصخور يشير إلى أنه ناتج عن اصطدام جسم غير أرضي.

وترى نظريات أخرى أن هذه التكوينات ناتجة عن انفجار بركاني تسبب في تشكل طبقات مختلفة من صخور رسوبية ونارية متحولة دَفعتها المواد المنصهرة تحت الأرض إلى أعلى، مكونة دوائر.

ويعتقد المورتانيون أن هذه المنطقة تحتوى على كنوز وثروات طبيعية، كما أن الأعشاب التي تنبت فيها مفيدة في التداوي من الأمراض المستعصية، ومجربة في تغذية الحيوانات بشكل جيد، فغالبا ما تنمو الحيوانات التي ترعى في حمى هذه «العين الكبيرة» وتتكاثر بشكل لافت.

وبالمجمل فإن كرم وأصالة وعلم وتميز ونبل أهل وادان، مما شاع وذاع، وقد كانوا يتبعون نظامًا خاصًا في كل شيء، من ذلك أنهم يفتحون في كل حي دارًا للضيافة يتم الإشراف عليها بالتناوب وقد بلغ أهل المدينة حدا لا يوصف من التكافل الاجتماعي، إذ يكفي أحدهم لبناء دار أن يفكر فيها؛ فيقوم الكل بالمساهمة فيها حتى تقام.

لقد أدى انتشار وسائل المواصلات الحديثة كالسفن والطائرات والسيارات وتراجع دور الجمل (سفينة الصحراء) إلى تضرر دور المدينة كزميلاتها الأخريات الثلاث، وبداية مواسم الهجرة منها إلى الشرق والجنوب، كما كان للنزاعات والحروب دورها في إنهاك المدينة، لتنضاف إلى كل ذلك عوامل طبيعية كالتصحر وانحباس المطر.. وقد تضافر كل ذلك مساهما في عقود متواصلة من العزلة والانكفاء لعاصمة القوافل وادان.

من حكايات وادان الشعبية ذات الرمزية الثقافيـــــة والتـــــاريخيـــــة

النبهاني ولد أمغر

تعتبر مدينة وادان التي تأسست في أشهر الروايات عام 536، للهجرة على يد نخبة من تلامذة القاضي عياض، واحدة من المدن الموريتانية التاريخية الأربع التي صنفتها اليونسكو، تراثا إنسانيا عالميا، وفضلا عن تراثها العلمي والمعرفي المحفوظ، فإن ذاكرتها الحية تحفل بالكثير من الحكايات الشعبية ذات الصلة بعطائها المعرفي والعلمي وحياتها العملية الحافلة بكل ما هو مفيد وذو دلالة عميقة.

حكايات

تزخر الذاكرة الجمعية الوادانية بالكثير من الحكايات الشعبية التي لا يمكن التيقن من صحة بعضها، رغم أن أجيال المدينة المتتالية، ظلت تتناقل هذه الحكايات وتلك القصص ويورثها سلف لخلف.

إن كل ما في مدينة وادان له حكاية تُروى قد تختلف تفاصيلها ولكنها تتفق في المبدأ بالنسبة للوادانيين، فلموقع منازل الحجاج مؤسسي المدينة حكاية، وللمسجد العتيق بالمدينة حكاية، وللسور المحيط بالمدينة إحاطة السوار بالمعصم ذي البوابات الأربع حكاية، وللبئر المحصنة حكاية، وللأضرحة حكاية، ولشارع الأربعين عالما حكاية، ولواد التمر حكاية، ولواد العلم حكاية، إلى غير ذلك من الحكايات السيارات على ألسنة الناس، فكل شيء في مدينة العلم والتمر له حكاية!

المؤسسون

كل حديث عن تاريخ وادان وما أفرزته من أثر علمي واقتصادي واجتماعي وثقافي، ظل صداه يتردد عبر الزمان والمكان، لا بد أن ينطلق من مرحلة تأسيس المدينة والمؤسسين الثلاثة الأفذاذ، الذين جمعهم طلب العلم عند القاضي عياض السبتي؛ مؤلف كتاب الشفاء، وجمعهم بعد تأسيس وادان الحج، فصدروا اسماءهم بـ «الحاج».

الرجال الثلاثة الذين تشاركوا فكرة طموحة وحلما كبيرا، هو تأسيس مدينة وادان وتعميرها، وقد اشتهروا من بعد ذلك بالمؤسسين الثلاثة، ثم التحق بهم من بعد ذلك حاج رابع، سيصبح فيما بعد هو المؤسس الرابع لهذه المدينة.

الرجال المؤسسون فرقهم النسب وجمعتهم فكرة واحدة ومشروع واحد،

وهذه مجرد ميزة واحدة من ميزات عديدة لمؤسسي مدينة وادان. فقد كان من غير المألوف في زمن القوم وبيئتهم أن يقرر رجال من أنساب مختلفة تأسيس مدينة واحدة جمعت عدة قبائل في انسجام نادر ووحدة أقرب إلى ما نسميه اليوم بالمواطنة، ففي العام 536 للهجرة الموافق 1142م، قرر الحاج «يعقوب القرشي»، والحاج «عثمان الأنصاري»، والحاج «علي الصنهاجي» أن يؤسسوا مدينة وادان، وذلك من قبل أن ينضم إليهم في وقت لاحق الحاج «عبد الرحمن الصائم»، وكانت تلك هي البداية لمشروع طموح، بدأ بفكرة وتحول إلى مدينة مزدهرة وعامرة.

ومن اللافت أن منازل المؤسسين الثلاثة، لم يتم تشييدها بجوار المسجد، وقد كان من المفترض أن تكون هي المنازل المجاورة له، ويفسر الوادانيون ذلك بأن المؤسسين الثلاثة أرادوا أن تكتب لهم خطاهم إلى المسجد مع كل صلاة، فابتعدوا قليلا بمنازلهم عن المسجد، ولا غرابة في أن يفكر علماء عُبَّاد بتلك الطريقة، وحدثني إمام جامع وادان العتيق، صاحب الفضيلة محمد الشيخ ولد أحمد ولد حمد ولد أهْنَ، أن المؤسسين كانت لهم منازل ملاصقة للمسجد يستخدمونها للتدريس والإرشاد وتدبير الشأن العام، بينما خصصوا المنازل المعروفة والبعيدة نسبيا من المسجد لسكنهم وسكن حريمهم.

شارع الأربعين

ينعكس التطور الثقافي والعلمي الذي عرفته مدينة وادان، من خلال الحكايات والمرويات التي تروى عن شارع الأربعين عالما، وتُجمع تلك الحكايات والمرويات على أنه كان يوجد في وادان أربعون منزلا متجاورا في كل منزل عالم على الأقل، وكان بإمكان طالب العلم في وادان أن يتجول في هذا الشارع المتفرد، وهو يتلو القرآن أو يقرأ بعض المتون، دون الحاجة إلى شيخ، وإذا ما واجه صعوبة أثناء تلاوته أو أثناء مراجعته لأحد المتون فما عليه إلا أن يقف عند باب أي منزل، وهناك سيجد من يقوم بمهمة

الأستاذ ويصحح له ويبين ويشرح ما أشكل.

المنارة والدهن

من المرجح كثيرا أن يكون الوادانيون هم أول من رفع الأذان عاليا يخترق صمت الصحراء أن حيَّ على الصلاة.. حيَّ على الفلاح، في هذا المنكب، وهي أولية تبعث على الفخر، وقد رفع الأذان من منارة مسجد وادان الذي تم تشييده منذ حوالي تسعة قرون تقريبا، وربما تكون هي أقدم منارة في هذه البلاد.

وقد استطاع الوادانيون أن يشيدوا مسجدا جامعا فيما بين جمعتين، حسب ما تؤكد حكايتهم السيارة على ألسنتهم؛ فمسجد المدينة القديمة وجامعها الحالي تم تشييده في العام 1835م بمبادرة من المحسن «يحظيه ولد الفاضل»، بعد أن نشب خلاف مستعص حول من له الأحقية في إمامة المسجد القديم والخطبة فيه، فقامت أغلب الجماعة بالانتقال عنه.

وتقول الحكاية التي يتداولها الوادانيون، بأن الماء الذي كان يستجلب من الوادي قد نفد قبيل اكتمال بناء منارة المسجد، ونظرا لحرص المشيدين على إكمال بنائه قبل وقت صلاة الجمعة فقد لجأوا لخلط الطين بالدهن لإكمال بناء المنارة.

المفاتيح

من مأثور الحكاية الشعبية الوادانية حكاية مفاتيح الطالب عيدي، وهي حكاية شعبية أثيرة لديهم، وهي معبرة عن المدى الذي وصلت إليه المدينة من عمران هائل في بعض مراحل تاريخها الثري والحافل.

يقول الوادانيون، إن «الطالب عيدي» نسي خلال يوم من الأيام مفاتيح داره في الحقل، ولم يتذكر ذلك إلا بعد وصوله إلى منزله في المدينة، فما كان منه إلا أن طلب من مزارع بجوار المدينة أن يخبر المزارع الذي يليه، ليخبر ذلك المزارع بدوره المزارع الذي يليه، وهكذا، حتى وصل الطلب للمزارع الذي لديه المفاتيح، والذي كان على بعد 12 كيلومتر من المدينة، فما كان من المزارع الذي كانت لديه المفاتيح إلا أن سلم المفاتيح للمزارع الذي يليه، ليسلمها ذلك بدوره للمزارع الذي يليه، حتى وصلت المفاتيح إلى «الطالب عيدي» في منزله دون أن يتحرك أي مزارع من مكانه، ودون أن يترك أي مزارع مكان عمله، ويعرف الطريق الذي سلكته المفاتيح بطريق «الطالب عيدي».

ويتكرر شبيه لمثل هذه الحكاية في الثقافة الشعبية المحلية وفي كثير من مناطق الوطن، ومن ذلك مثلا، أن إحدى المجموعات لكثرتها وانتشارها في الزمن السحيق كان يولد لها مولود في مضاربها على نهر صنهاجة، فتعلم به مضاربها في عيون الساقية الحمراء في نفس الساعة؛ لأن الحي الذي ولد فيه يعلم الحي الذي يليه وذلك يعلم الذي يليه إلى أن يصل الخبر خلال ساعة إلى عيون الساقية الحمراء قادما من ضفة النهر في «شمامه».

الصخرتان

بالرغم من أن وادان مدينة الصخور بدون منازع فإن الصخرة الأكثر شهرة فيها هي تلك الصخرة التي يقول الوادانيون في حكاياتهم الشعبية بأنها قد أصبحت ضريحا للعالم الرحالة، الطالب أحمد ولد اطوير الجنة، وهو ضريح ما زال قائما بل مزارا يقصده الجميع، في وسط المدينة القديمة، وتقول الحكاية الشعبية أن الطالب أحمد، رحمه الله، كان قد أوصى قبل موته بأن يُذهب بجنازته إلى صخرة معروفة في وادان، وأن يقال لتلك الصخرة : يا صخرة انشقي فقد أتاكِ الطالب أحمد، وتقول الحكاية أنه لما حملوه بعد موته إلى تلك الصخرة

انشقت، ووضع فيها الجثمان؛ لتنغلق بعد ذلك، وتعود كما كانت.

أما ثانية الصخرتين العظيمتين فهي صخرة الفاضل ولد أحمد امحمد، وهو أحد سادة مدينة وادان ، وقد عُرف رحمه الله، بقوته البدنية مع ميزات أخرى، ويقول الوادانيون بأن «الفاضل» كان قد جاء بهذه الصخرة الكبيرة إلى المكان الذي توجد فيه الآن، غير بعيد من المنحدر الصخري المتجه إلى البئر المحصنة، وأنه كان يستخدمها لإغلاق وفتح الطريق.

المرأة والدار

تميز الوادانيون على مر الزمن بالتعاون والتعاضد والتكافل، وفي الماضي كان يكفي لمن يريد بناء دار مثلا أو إقامة أي منشأة، أن يعلن ذلك، ليجتمع الناس من حوله ويعينوه على ذلك بطيب خاطر، وقد يكون المال والجهد الذي يبذله مالك الدار لتشييدها، أقل مما ينفقه ويبذله بعض من يأتون ليعينوه على بنائها.

وتقول الحكاية الشعبية التي يرويها الوادانيون مع بعض الاختلاف في جزئياتها وتفاصيلها، أن امرأة غنية من أهل وادان، قررت أن تحفر بئرا أو تشيد دارا، فما كان من تلك المرأة إلا أن أجُرت بعض العمال لإنجاز المهمة (حفر البئر أو تشييد منزل). وبعد اكتمال العمل قام رئيس وادان آنذاك باستدعاء السيدة المذكورة، وكان الرئيس في تلك الفترة هو «سيد أحمد الأطرش»، والذي لُقّب بالأطرش لأنه - حسب الحكايات الشعبية - كانت له قدرة عجيبة في التفريق بين

صاحب الشكوى الحقيقية، وصاحب الشكوى المزيفة، وكان يتظاهر بالصمم لأصحاب الشكاوى المزيفة فلقبوه بالأطرش. وتقول الرواية الشعبية بأن «سيد أحمد الأطرش» قام بهدم المنزل حسب أصحاب الرواية الأولى، أو بردم البئر حسب أصحاب الرواية الثانية، وطلب من أهل وادان أن يحفروا للسيدة بئرا، أو يشيدوا لها دارا، وذلك بعد أن حذرها من العودة لمثل هذه التصرفات التي تمس من روح التكافل الذي عُرف به أهل وادان على امتداد تاريخهم.

الطبل والساحة

من ساحات وادان المعروفة، ساحة الرحبة، وهي ساحة كبيرة كانت تستخدم في السابق لأغراض شتى، وتوجد بها حاليا صخرة يقال إنها كانت تستخدم لقياس قوة الشاب الذي يريد أن يُعلن عن دخوله في مرحلة الرجولة، وعلى جانب من الرحبة توجد خشبة يقال بأنها كانت تستخدم لإقامة الحدود، وبجنب تلك الخشبة يوجد مكان لخشبتين يقال إن طبل وادان كان يوضع بينهما، والطبل يوجد حاليا في دار أهل شماد، التي تجاور ساحة الرحبة، وكان الطبل يستخدم لعدة أغراض، فكان يستخدم للأفراح، وكان يستخدم كصفارة إنذار، كما كان يستخدم أيضا للإعلان عن قدوم الضيوف، فهو بمثابة وسيلة الإعلام في تلك العصور، وهذه الأدوار وغيرها كانت تقوم بها طبول أخرى مثل طبول بعض الإمارات التي كانت منتشرة في سابق الزمن بالبلاد، وكان لكل حدث معين عدد محدد من الضربات، يقول الشاعر يكو الفاضلي:

ضربوا الطبل للرحيل ثلاثا
واستمروا يقوضون الأثاثا..

البئر والسور

تميز سور وادان العظيم ذي البوابات الأربع، والذي تم تشييده بعد تأسيس المدينة بأربع سنوات، بشهرة كبيرة على مر تاريخ المدينة، ولهذا السور – كما أسلفنا – أربعة أبواب معلومة يقال إن كل باب منها كان يمكن أن يمر منه جمل يحمل هودجا، دون أن يلمس أي جزء من أجزاء السور العلوية أو الجانبية. ولقد حفر الوادانيون بئرا داخل السور لجلب الماء في حالة إغلاق السور، عند التعرض لأي تهديد خارجي من أي نوع. وتعرف هذه البئر الآن بالبئر المحصنة، ولها طريق سري يوصل إليها يمر من داخل ثلاث دور أو منازل في المدينة. وعند البئر توجد أمكنة للحراسة أو ما يعرف بالرقابة الداخلية للبئر، وتوجد بعض الفتحات التي تمكن الحراس من مراقبة ما يجري خارج مكان البئر، كما أن تلك الفتحات كانت تستخدم لتصويب فوهات البنادق من خلالها، أو إسناد رؤوس القسي والسهام، وكان من مهام الرقابة الداخلية أن تشرف على تنظيم جلب الماء من البئر المحصنة في حالة إغلاق السور والعدالة في توزيعه، حيث لم يكن يسمح لأي أسرة بأن تجلب الماء من البئر المحصنة، مرة ثانية، من قبل أن يأتيها الدور وبعد أن يكون كل أهل المدينة قد أخذوا نصيبهم من الماء. وهناك أيضا دار للرقابة الخارجية، تراقب الخارجين والداخلين، وفي حالة الإغلاق المفاجئ للسور نظرا لأي طارئ، فإنه يكون بإمكان أهل الرقابة الخارجية أن يحددوا أسماء كل الوادانيين الذين أغلق السور من قبل عودتهم إلى المدينة.

هذا غيض من فيض الحكايات الشعبية الوادانية التي خلدتها الذاكرة الشعبية الجمعية لمدينة العلم والنخيل وتوارثها خلف عن سلف، وهي حكايات وإن كنا لا نجزم بصحتها تماما، فإنها تعبر عن خلاصة معلومة للجميع وهي المكانة المعرفية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والتدبيرية، التي وصلت لها وادان في كثير من مراحل تاريخها، وهي المكانة التي ينبغي اليوم البناء عليها واستثمارها بالشكل الصحيح حتى نخلق من المدينة قطبا تنمويا ينفع أهله العاضين عليه بالنواجذ والبلد بشكل عام، وما مهرجان مدائن التراث، الذي أضيف في هذا العهد طبقا لتوجيهات رئيس الجمهورية السيد محمد ولد الشيخ الغزواني، بعد تنموي إلى بعده الثقافي، إلا تجسيد متقدم لذلك المسعى الوطني النبيل الذي هو مما ينفع الناس ويمكث في الأرض.

هيئة التراث:

رؤية شاملة لحفظ هوية البلاد وموروثهـــــا الثقـــــافي

إعداد/ أحمد ولد الشيخ ولد الرباني

تأسست هيئة التراث في الخامس من فبراير 1996، بموجب وصل الترخيص رقم 1996/175 بتاريخ 5 فبراير 1996، وجدد تصريحها بتاريخها 8 يناير 2025، طبقا لأحكام المادة 7 من القانون رقم 2021/004 بتاريخ 10 فبراير 2021. المتعلق بالجمعيات والهيئات والشبكات.

وجاء تأسيسها كمبادرة وطنية تنادي بأهمية العناية بالموروث الثقافي الوطني والتراث الموريتاني بكل أشكاله واختصاصاته التراثية والثقافية والعلمية والتنموية وصناعاته الحرفية وجسوره المعرفية.

وقد حصلت هيئة التراث على أهلية النفع العام من طرف الحكومة في التاسع من ابريل 2025. وهي جمعية غير حكومية وغير ربحية، تأسست كمركز أبحاث لتوثيق التراث وخدمة الثقافة وبطولات المقاومة الوطنية من خلال برامج مهنية وعملية.

وتهتم هيئة التراث بالعائد الثقافي والمنتج التراثي فكريا وعلميا لكونهما عنصرين متجددين يستمدان عراقتهما من الماضي، كما تساهم في تعزيز الوعي بأهمية التراث العربي والافريقي والإنساني.

ومن أهدافها كذلك الحفاظ على التراث الموريتاني والتوثيق التاريخي للمخطوطات وحفظ الذاكرة الوطنية، ومن برامجها وضع استراتيجية لتطوير برنامج التراث والتنوع الثقافي .

كما تهتم هيئة التراث بتعزيز التراث في مناهج التعليم عبر ملتقيات الهيئة العلمية وشركائها وتنظيم دورات تدريبية داخل موريتانيا وخارجها من خلال أكاديمية التراث التابعة للهيئة، ودعم الجهات التي لها علاقة بالتراث فيما بينهم، كما تشجع المعنيين والحرفيين والمبدعين والمنتجين وصناع المحتوى والطلاب على الحفاظ على التراث الثقافي العمراني من خلال تكوينات وتحفيزات وجوائز تقديرية، إضافة إلى عقد الملتقيات والندوات والمعارض والمحاضرات بواسطة منتدى هيئة التراث الثقافي لنشر المعرفة، وإنشاء منصة رقمية لتوثيق أمجاد المقاومة الوطنية والفتح المرابطي إعلاما ومواد وخرائط وتراثا وعمرانا ومؤلفات واسهامات في الماضي والحاضر والمستقبل مع إبراز قيم التراث لجميع منتجات القرية الثقافية.

ومن أهم مبادرات هيئة التراث توثيق الأصول والترويج لمخطوطات المصاحف المحظرية والمتون والأنظمة التعليمية في محاظر موريتانيا (جامعات الصحراء). إضافة إلى تخطيط وتوثيق وتطوير وصيانة الأحياء السكنية في مدن التراث عبر برامج تنموية مندمجة.

وهناك عدة مكونات تابعة للهيئة هي:

- مكونة القرية الثقافية ومن أهدافها:

- 1 إطلاق مشاريع مدن مندمجة تراثيا وثقافيا وتنمويا جاذبة للسياحة والاستثمار في كل من شنقيط ووادان وتيشيت وولاته وجول.

- 2 إنشاء القرية الثقافية التراثية في نواكشوط و قرية الصناعات الحرفية والفنون الشعبية .

- مكونة حماية التراث الوطني وتهتم ب:

- حماية الملكية والهوية الفكرية والهوية التراثية في سجل التراث العالمي والعربي والإسلامي بشقيه المادي واللامادي .

- إطلاق مشروع حماية المكتبات الأهلية الموريتانية والمؤلفات الشنقيطية.

- إطلاق مشروع المصاحف المخطوطة والمؤلفات بأيادي علماء ورواد المدرسة الشنقيطية.
- إنشاء وحدة أبحاث لصيانة الآثار والمخطوطات والمعالم التراثية والصناعات الحرفية الوطنية.
- مكونة تعزيز الهوية الثقافية والترابية الوطنية من خلال:
- وحدة صناعة الأغنية التي تخدم أهداف الهيئة ومجالات تدخلها.
- وحدة ربط جالياتنا بالخارج.
- إنشاء مسابقتين لهيئة التراث الأولى لحفاظ القرآن الكريم والثانية في مجال الشعر.
- رعاية قرية أشبال الامام المجاهد بوبكر بن عامر أحد مؤسسي الرباط الأولي للفتح المرابطي.
- تكريم المبدعين في مجالات التراث ومنتجاته وابراز ذلك في مؤتمرات علمية وثقافية وإعلامية وأنشطة جمعوية.
- إنشاء مركز دراسات وأبحاث تابع لهيئة التراث يحمل الاسم الفخري للإمام بوبكر بن عامر.

كما تضم الهيئة مركز تراث:

و هو مركز متخصص في البحوث والدراسات وهو مركز بحثي تعليمي معني بفهم التراث الوطني والعربي والافريقي والإسلامي والانساني لربط ذاكرة الأمة بماضيها وحاضرها ومستقبلها وهو مكرس لقضايا الفتح العربي الإسلامي عموما وفتح المرابطين خصوصا في قارة المنشأ (القارة الافريقية) ويعنى كذلك بالوحدة الوطنية والحكامة التنموية ونموذج العيش المشترك للمجتمع.

أكاديمية التراث

وهي مؤسسة تابعة لهيئة التراث وتعد جمعية عمومية غير ربحية ذات نفع عام، تعمل على تكوين أمناء لحفظ التراث وأمناء فضاءات للقرية التراثية الثقافية في المدن التاريخية ومدن التأسيس وفي كبريات حواضر الجمهورية وتشمل مهام الأكاديمية :

- نشر قيم الإسلام والتسامح والتعليم.
- تكوين فرق مهنية متخصصة في مجالات التوعية والإعلام الرقمي وإعلام التواصل الاجتماعي وصناعة المحتوى المعزز للمواطنة والوحدة الوطنية.

تجربة القرية الثقافية التراثية:

إطلاق مشروع بناء القرية الثقافية التراثية الموريتانية والتي تضم متحفا وفضاء ثقافيا للعروض التراثية الثقافية ومسجدا وإقامات ونزلا للزوار والضيوف ومنصة لاحتضان المهرجانات الثقافية السنوية والمؤتمرات والملتقيات الداعمة لأوجه الاستثمار في مدن تنموية تراثية ثقافية مندمجة تستخدم الطاقة المتجددة وتوطين مرافق للتنمية المستدامة. ومن أولويات هذا المشروع الذي تنوي الهيئة تنفيذه في خطتها الخمسية 2025-2030:

- القرية الثقافية التراثية بالعاصمة نواكشوط.
- القرية الثقافية التراثية في وادان.
- القرية الثقافية التراثية في ولاته.
- القرية الثقافية التراثية في شنقيط.
- القرية الثقافية التراثية في تيشيت.
- القرية الثقافية التراثية في جول.
- القرية الثقافية التراثية في مكسم بن عامر.
- مسابقة بلد حفاظ القرآن الكريم في احدى كبريات المدن وبشكل دوري.
- مسابقة بلد المليون شاعر في حواضر وعواصم الولايات وبشكل دوري.
- إنشاء قرية ثقافية تراثية للمقاومة الوطنية وأمجادها يختار موقعها لاحقا.
- إنشاء فضاء للمديح النبوي وفرق الأداء الوطنية باسم فضاء أسواق المديح النبوي التابع لهيئة التراث.

بناء القدرات:

تسعى هيئة التراث لبناء القدرات لاستقطاب أبرز المستثمرين ورواد الأعمال المحليين والعالميين في القطاع التراثي والثقافي والفنون والعمران لتقديم الخبرة وتبادل التجارب وخلق مجتمع يعزز التواصل بين رواد الأعمال وحضارة التنوع.

السجل الوطني للآثار

يعنى هذا السجل بتوثيق المواقع التراثية وتسجيلها وتصنيفها حسب نظام الآثار والتراث العمراني ولوائحه التنفيذية وإسقاطها على خرائط رقمية تمكن من تسهيل إدارتها وحمايتها والمحافظة عليها وبناء قاعدة بيانات مكانية للمواقع التراثية المسجلة.

المكتبة التراثية الثقافية

تتيح هيئة التراث عددا من الإصدارات والكتب والمصادر التي تدعم إثراء المشهد الثقافي في البلد وإنجاز مشروع المكتبة الشاملة في مختلف التخصصات بالتعاون مع القطاعين العام والخاص.

سجل معارك المقاومة الوطنية

تعمل هيئة التراث على ترسيم وإنتاج منصات في مواقع المقاومة الوطنية والبالغ عددها 89 موقعا بالتعاون مع الباحثين والمختصين وجهات الرعاية.

سجل علماء وقراء

تعمل هيئة التراث على إقامة شراكة مع علماء ودعاة وقراء الجمهورية الاسلامية الموريتانية لنشر دين الوسطية والاعتدال ومواجهة تيارات الغلو والتطرف.

سجل المبدعين في مجال الثقافة والفن

تعمل هيئة التراث على إقامة شراكة مع المبدعين والمثقفين والمؤثرين والمتخصصين في صناعة المحتوى وفن الأداء لخدمة نجاحات بلدنا في ورش التنوع الثقافي بكافة أشكاله وسياقاته وطنيا وقاريا ودوليا.

وادان:

مدينة العلم والحضارة عبر التاريخ

إعداد: أحمد ولد الشيخ ولد الرباني

في إطار اهتمام الحكومة بإحياء مدائن التراث ونفض الغبار عن تاريخها الزاخر بالعلم والمعرفة وحفظ كنوزها التراثية الثمينة وتنميتها عبر ربطها بالمكونة التنموية وتحسين خدماتها، احتضنت مدينة وادان النسخة الرابعة عشرة من مهرجان مدائن التراث في الفترة ما بين 19 و23 من دجمبر 2025، وهي فرصة للتعريف بهذه المدينة التراثية القديمة والمصنفة ضمن مواقع التراث العالمي لليونسكو، نستعرض فيما يلي مكانتها المميزة عبر العصور.

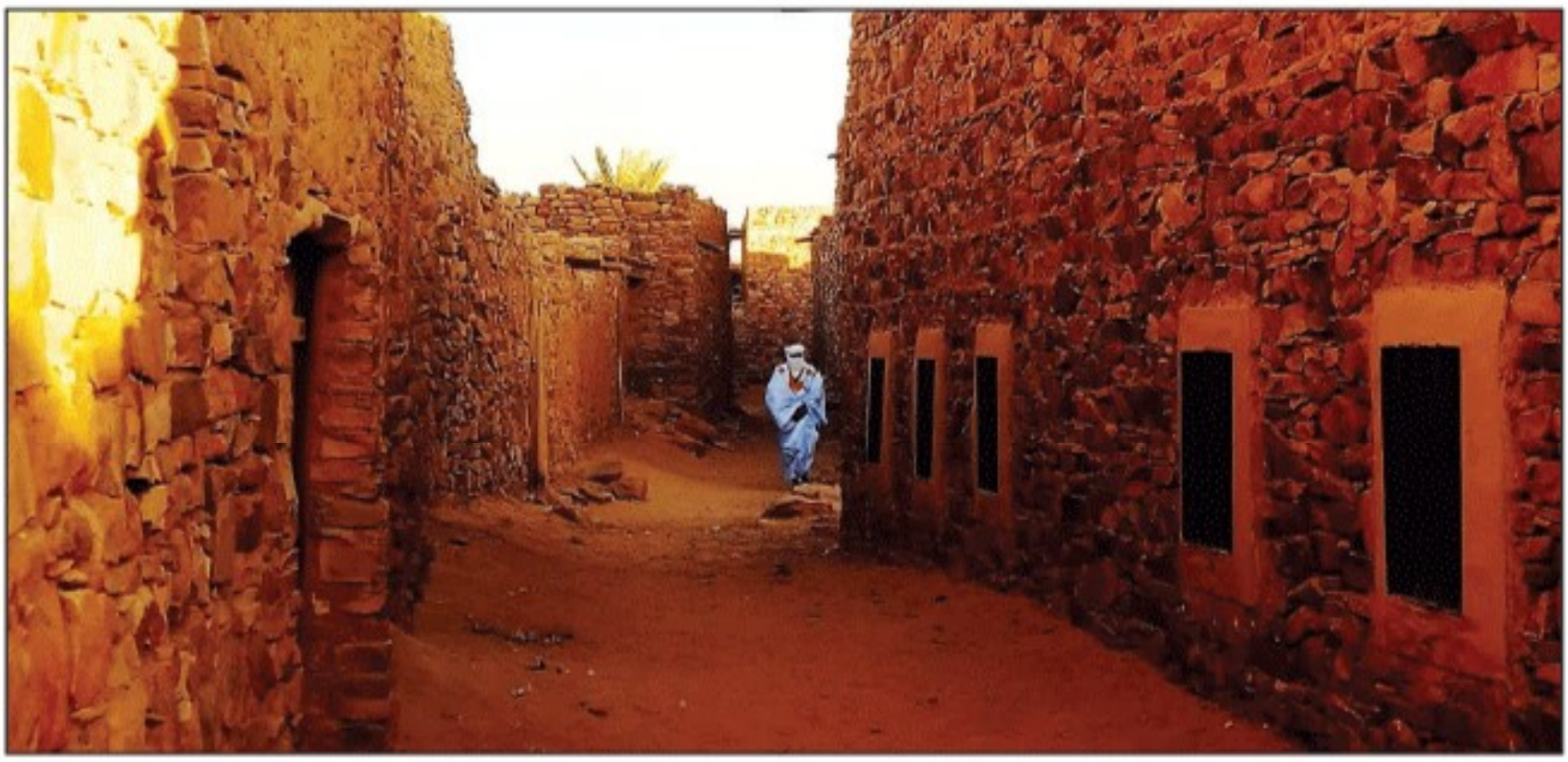

مدينة وادان تلك الفاتنة المتربعة على عرش الجمال الحضاري، والجوهرة المتلألئة على سطح هضبة آدرار الشامخة، مدينة قاومت سطوة الاندثار وأبت إلا البقاء شامخة لتحكي للأجيال أسطورتها التي لهجت بها الألسن وطربت لسماعها الآذان وانتشت بصداها الروح، فكلما مررت تحث الخطى في شارع الأربعين عالما تعود بك الذاكرة لمشهد حضاري ذي سحر ورونق يحاكي روعة المراحل التي مرت بها وادان منذ التأسيس وحتى الآن.

فالمدينة عبارة عن متحف مفتوح يجول فيه البصر بين شواهد النهضة الثقافية والتطور العمراني والتي كان عمادها الإنسان المكابد للمشاق الصابر على قسوة الطبيعة المنتج المبدع المبهر، ففي كل زاوية من أزقة تلك المدينة التي تأسست على مبدأ التكامل والتضامن في كل شيء ستقف إجلالا للوادانيي وكيف اجتهد وثابر وجمع بين العلم والعمل حتى صار أهل المدينة مضرب المثل في العبقرية.

تقع مدينة وادان على أعلى هضبة في آدرار، وتشمل العديد من واحات النخيل. وتبعد 170 كلم إلى الشرق من مدينة أطار بولاية آدرار، و 100 كيلومتر من شقيقتها شنقيط، وبالقرب من تكوين جيولوجي هائل ودائري يُعرف باسم «قلب الريشات» أو عين الصحراء أو حفرة الريشات، وهو معلم طبيعي يقع في هضبة آدرار ويُعد لغزاً علمياً مثيراً للاهتمام، حيث تختلف الآراء حول تكوينه بين أثر نيزكي أو بركاني خامد، يجذب السياح والعلماء على حد سواء، وقد صنفت المدينة ذات المعالم الأثرية والثقافية والطبيعية النادرة ضمن التراث العالمي لليونسكو.

ويعود تاريخ تأسيسها إلى عام 536 هـ ومؤسسوها هم: الحاج علي الصنهاجي، والحاج يعقوب القرشي، والحاج عثمان الأنصاري، والتحق بهم فيما بعد عبد الرحمن الصائم وبنوا سورا لحمايتها من الغزو الذي كان سائدا في ذلك العصر، والمدينة مبنية على حافة جرف وقد كانت مركز إشعاع علمي وتاريخي.

وكانت أول عمارة تم تشييدها في هذه المدينة هي المسجد العتيق ومنارته الأقدم في البلاد إيذانا بانطلاق مشروعها المعرفي لنشر الإسلام وعلوم اللغة العربية في تلك الربوع الصحراوية القاحلة، وبدأ الناس

يفدون إليها من كل حدب وصوب.
وتعد اليوم قبلة للسياح لطبيعتها الخلابة وبيوتها الأثرية القديمة، وتمتلئ كتب التاريخ ومخطوطاته بالحكايات عن كرم وأصالة أهل وادان ونبلهم، فهم أهل الخير والعلم..

شارع الأربعين عالما أقدم جامعة في الصحراء

هو الشارع الأعجوبة الذي تطل على فنائه منازل 40 عالما، وكل دار يعرف مالكها الأصلي وتاريخ وفاته، فهو رمز من التراث الإنساني، وشاهد حي على نهضة علمية شهدتها المدينة.

يبدأ مسار الشارع من المسجد العتيق في سفح الجبل إلى المسجد الجديد في أعلى الجبل، ويشق وسط المدينة العتيقة ويبلغ طوله مئات الأمتار، فيما يتراوح عرضه بين متر ومترين وفي بعض مقاطعه إلى 3 أمتار.

ولكثرة العلماء وطلاب العلم في هذا الشارع الذي يربط بين محظرتي المسجد العتيق والجديد، كان لا يخلو من طلاب يقرؤون القرآن الكريم أو يتدارسون الفقه أو ينشدون مدائح في النبي صلى الله عليه وسلم، ولهذا كان السكان يقصدونه للتبرك وسماع القرآن والمدائح التي لا تنقطع، خصوصا في ذكرى مولده عليه أفضل الصلاة وازكى التسليم.

وفي المدينة العتيقة وسط شارع الأربعين عالما يقع ضريح الرحالة والعلامة الجليل الطالب أحمد ولد اطوير الجنة، وهو أشهر

علماء مدينة وادان، ورمز عظيم من رموزها وأعلامها.

وذكر الوادان العلامة المؤرخ الطالب أحمد ولد اطوير الجنة، في رحلته أن أصل تسمية وادان يعود إلى كونها تضم واديين، واد من علم وواد من نخيل.

وكان أهل وادان يتبعون نظامًا خاصًا في كل شيء، من ذلك أنهم يفتحون في كل حي دارًا للضيافة يتم الإشراف عليها بالتناوب.. وقد بلغ أهل المدينة حدًا من التكافل الاجتماعي قل مثيله، إذ يكفي أحدهم لبناء دار أن يفكر فيها؛ فيقوم الكل بالمساهمة فيها حتى تقام.

وتتوفر المدينة على العديد من المكتبات التي تعود ملكيتها في وادان في الأغلب للأسر التاريخية المعروفة في المدينة، والتي تتولى القيام بشؤونها والإشراف على صيانتها، ومن أهمها:

- مكتبة آل محمد السالك.
- مكتبة آل الكتاب.
- مكتبة آل أحمد شريف.
- مكتبة آل عيد.

وتوجد في كل مكتبة من هذه المكتبات مخطوطات نادرة يعود عمر بعضها إلى 8 قرون.

كما تتميز وادان عن غيرها من المدن التاريخية بسورها العظيم المبني قبل أكثر من 9 قرون ويبلغ ارتفاعه 4 أمتار وسمكه 1.5 متر، ويحيط بشكل دائري بالمدينة العتيقة من سفح الجبل شرقا إلى أعلاه غربا.

الشعـر والشعـراء في مدينــة وادان

النبهاني ولد أمغر

تعتبر مدينة وادان التاريخية من أكثر المدن زخما معرفيا، فإليها تنتهي معظم الأسانيد العلمية في مختلف الفنون المتداولة في هذه الربوع، وفيها تم تأليف أول شرح محلي لعماد الدرس المحظري الفقهي مختصر الشيخ خليل، وقد طغت شهرة وادان الفقهية والعلمية على مكانتها الأدبية والشعرية.
كما أن بداية النشاط الأدبي والشعري في المدينة التاريخية يلفها غموض، وتنعدم المصادر والمراجع في هذا الباب، ولعل ضياع الكثير من مكتبات المدينة ووثائقها ساهم في ذلك.

إن وادان شهدت أكثر من غيرها من زميلاتها التاريخية الأخريات فترات متتالية من القحط وانحباس الأمطار، فكانت ومنذ بداية تأسيسها تنحبس عنها الأمطار عقودا متتالية، الأمر الذي جعل الكثير من سكانها ينزحون عنها جنوبا وشرقا وحتى غربا، وكانت ظروف انتقالهم في معظمهم إلى حياة بدوية يتتبع أصحابها مساقط المطر ومظان الكلأ في رحلة الشتاء والصيف، سببا في ضياع كنوزهم المعرفية من مكتبات ومخطوطات و وثائق، ولا شك أن الكثير مما يمكن أن يساهم في التأريخ للحياة الأدبية والشعرية لوادي العلم والتمر، قد ضاع من ضمن ما ضاع، مما جعل البحث في هذا الموضوع من الصعوبة بمكان، فالمعلومات شحيحة، وإن كان من شبه المؤكد أن المدينة شهدت أدبا وأدباء في الفترات التي أعقبت فترات التأسيس، ومن أقدم ما وقفنا عليه في هذا الإطار خلال بحث وتنقيب «مجلة الشعب» الميداني، وثيقة وادانية محفوظة بخط عبيد الرحمن بن عشاي، وتتضمن قصيدة لشاعر لم تذكر الوثيقة اسمه من وفد وادانى يمدح بها السلطان المغربي الثائر أحمد بن محرز العلوي، المتوفى 1098، للهجرة، ومطلعها:

بدأت بحمد الله في النظم والشكر
وأثني على الشفيع في موقف الحشر

ولكن ملامح كل تلك البدايات وحتى ما بعدها، محكومة بضبابية تجعل الحديث في هذا الباب مجتزأ جدا وهو من باب أن ما لا يدرك كله لا يترك جله.

شعر من وادان

يترجم كتاب فتح الشكور، للعالم الوادانى، سيدي حبيب الله الكنتي المتوفى 1151هـ ، ويصفه بأنه كان شاعرا سخيا فقيها، ولكننا رغم البحث المكثف، لم نطلع لهذا الشاعر على

نص، ولعل نصوصه ضاعت ضمن ما ضاع من تراث وادانى نفيس.
وبحسب تاريخ وفاته فهو معاصر للجيل الأول من الشعراء في هذه البلاد مثل محمد اليدالي، وولد رازكه، الذي أظنه تتلمذ أيام إقامته، في وادان، على والد سيدي حبيب الله الكنتي هذا.
ومن أشهر شعراء وادان كما يؤكد الأستاذ الباحث سيدي محمد ولد الصيام، في حديث

لـ «مجلة الشعب» أحمد سالم ولد السالك ولد الإمام الحاجي، وهو شاعر مقتدر اشتهر بفخرياته الطويلة، وقد عاش في وادان في القرن الثالث عشر الهجري، وتوفي خارج المدينة، ومن بديع شعره:

يؤرقني برق من الغور لامح
وريح صبا من نحو نجد تراوح
وألقى غراب البين في الصدر لوعة
وأضرم نار الهجر في القلب قادح
أقاسي أصيلا ذكر سلمى وبكرة
ومنها الجوى والشوق غاد ورائح
وهيج أشواقي بكاء حمائم
لهن على فقد الهديل تناوح
تنوح وما تذري من العين دمعة
ودمعي من عيني على الخد سافح

ويضيف الباحث سيدي محمد ولد الصيام، أن منهم كذلك سيدي أحمد الملقب يانمو ولد حم ختار، وهو شاعر مُجيد إلا أنه غلب عليه الزهد والتصوف فتركز أغلب شعره حول المديح والتوسل والابتهال إلى الله، ومن ذلك قصيدته التي يخمس بها بردة البوصيري.
يقول في مطلعها:

ما بال قلبك لا ينفك ذا ألم
مذ بان أهل الحمى والبان والعلم
وانهلّ مدمعك القاني بمنسجم
أمن تذكر جيران بذي سلم
مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

أم زاد دمعك فيضا لو ملائمة
أم نوح ورق على الأغصان قائمة
أم شوق نفس إلى الأحباب هائمة
أم هبت الريح من تلقاء كاظمة
وأومض البرق في الظلماء من إضم.

ومنهم كذلك الرحالة العالم الشاعر الطالب أحمد ولد اطوير الجنة، إلا أنه كان مقلا من الشعر، ومن شعره حنينيته إلى بلاده وهو في الغربة، يقول فيها:

يا أرض وادان لا غبتك باكرة
حييت من تربة يا أرض وادانا
ونال قصرك من فضل ومن سعة
ما لم تنله قرى نجد فنجرانا
كم فيك من عالم ندب ومن علم
يحن دهرا إلى الخيرات تحنانا
ومن كريم صبيح الوجه ذي أدب
من لا يزال على الدهياء معوانا
هينون لينون لا يخطاك نائلهم
مهما لقيتهم مثنى و وحدانا
سرون برون لا يضام جارهم
ولا يبيت أوان الغرث غرثانا

إلى أن يقول:

أوصيكم بالتقى يا أهل وادانا
إن الإله بتقوى الله أوصانا
ما ضرنا أن يكون الحلم شيمتنا
نجزي المسيء على ما ساء إحسانا.

ومنهم أبو العباس الوادانى الحاجي، نزيل مراكش، وهو علامة متفنن وشاعر مُجيد ومن شعره قصيدة في مدح صديقه سلطان المغرب سيدي محمد بن مولاي عبد الرحمن.

ومنهم العلامة محمد الأمين بن الطالب بن اخطور، وأكثر شعره في التوجيه والإشادة بالطريقة التجانية (الفرع الحموي) ومن شعره قوله:

تترّس بتقوى الله في الحرب للنفس
لتتحفظ من سهم المقاتل بالترس
وجد بعزم فالنفوس جهادها
أشد قتالا من قتالك للفرس.

ومن شعراء وادان في العصور المتأخرة نسبيا، كما يؤكد الباحث سيدي محمد ولد الصيام، الشاعر الأستاذ محمد يحظيه ولد الشيخ ولد الفاضل، وهو أستاذ درس في موريتانيا وفي دولة قطر، ومن شعره:

وما قيس لو ليلى حبته تواصلا
وجرت له الحسناء من ودها ذيلا
وليس جميل لو بنو عذرة رضوا
جميلا لعذراهم بثينته بعلا
وما عنتر لو عاد من بعد حربه
لحي بني عبس فزفوا له عبلا
بأسعد من وادان عند قدومكم
نزلتم به سهلا وجئتم به أهلا
وطبتم مقيلا بين أظهر أهله
لهم فرح عال وغبطتهم أعلى.

شعر في وادان

كانت حاضرة وادان منذ القدم قبلة للشعراء والأدباء يدبجون فيها روائع الشعر ونوادر الأدب، وربما يكون حجم ما قيل فيها يضاهي أو يتجاوز حجم ما قال شعراء المدينة، ولا غرابة في ذلك فمكانة المدينة العلمية والمعرفية والاجتماعية والتاريخية تجعل منها غرضا مشاعا ومقصدا مفضلا، ولعلنا في هذا السياق سنقتصر على نماذج معدودة.

من أوائل من خاطب وادان شعرا العلامة سيدي عبد الله بن محم بن القاضي الشهير بابن رازكة العلوي الشنقيطي، المتوفى 1143، للهجرة النبوية، حيث يقول فيهم:

أحرزتم السبق ياسكان وادانا
لازلتم فوق ذاك الواد سكانا
جالت بكم همم في المكرمات كما
جالت بسبق الذي في رأس «غمدانا»
لكل طائفة من بعدكم ظفر
باق على الدهر أزمانا فأزمانا
كمثل ما أورثت أسلافكم سيرا
ملء المسامع أيسارا وأيمانا
ولو أردتم سوى ما تصنعون أبى
تغيرا منبت العيدان غضبانا
ولو رفضتم كفائي الفروض فمن
له وقد صار بين الغرب حيرانا
أليس إبقا علوم الدين إن تركت
فرضا على مدن الاسلام أعيانا
أم ليس در «خليل» من خزائنها
والنظم يكسب من منظومه شانا
وغيركم لكم في العلم بادية
والمدن ما برحت للبدو أركانا
ما خاب من زاركم يوما لنازلة
وإن لصدق من النيات قد خانا
وبيت عز له تسعون من درج
مثل التي دون وجه الأرض حسبانا.

أما الشاعر الأديب المختار بن محمدا، وهو شاعر معاصر، فيقول مخاطبا وادان وأهلها، بشعر يجمع بين الجزالة والطرافة:

إلى الشعب المصمم في ودان
تحياتي وشكري وامتناني
إلى الجمع الأبي هناك إني
أحن إلى مكارمه الحسان
إلى كرم عن الطائي يروى
ويروى عن بني عبد المدان
وعبد الله ذي الدعوات ينمى
إلى جدعان والد ذي الجفان
وعن يحيى أبي الفضل الذي
له في آل برمك من مدان
هنالك قلعة للمجد تسمو
وللعلياء في أعلى مكان
حوت في ما حوت أدبا وظرفا
وعلما بالمقاصد والمعاني
قد امتحنت مناعتها فجاءت
تصدقها شواهد الامتحان..

ويتحدث أخونا الشاعر الراحل الشيخ ولد بلعمش، رحمه الله، حديثا شعريا ذا شجون، عن وادان، معتمدا التطواف برُبوعه الفوّاحة بالتاريخ المجيد، حيث يقول:

رحلنا ولم نترك على السور حاجبا
فأنشبت الأيام فيه المخالبا
تلوى كمغدور بسُمّ نديمه
فهل ظلّ حتى يُبْصِر العُمْر هاربا؟
وها نحن عُدْنا لائذين بظلّه
فأدنى السما منه وآوى الكواكبا
وعلمنا في الحب عفوَ كرامه
فَلَمْ يَنْسَ مغْلُوبا وَ لَمْ يَقْسُ غالِبا
أقالَ سَيُحْيِي هذه الله مـــرّةً
فَرُدّ لِيحْيا في السطور مناقِبا؟
لقد كان في وادانَ للناس آية
وكانتْ لهُ غُـرُّ الحكايات صاحبا
يُطلُّ على الوادي حنانا كأنما
يسوق له البشرى وَيُزْجي المواهبا
أحاصره الطوفان يوما فَلَمْ يجدْ
سوى جبلٍ يُؤويه أمْ عاشَ راهِبا؟
تطاوَلَ نَخلُ السفح شوقا فربما
يعانق في دور الكرام سَحائبا
على خطُوات الأربعين تقودني
قوافِلُ لم تُنكِرْ خُطاها المَضاربا

وفي السنوات الأخيرة، أحدث مهرجان مدائن التراث ديوانا شعريا تتحدث معظم نصوصه عن وادان وتاريخها وأمجادها وتراثها المعرفي والعلمي الهائل، على غرار زميلاتها المدن التاريخية الأخرى، ويتوزع هذا الديوان بين الفصيح والشعبي.

شنقيـط:

منـــارة العلـــم والأدب

إعداد/ محمد العتيق

في قلب الصحراء الموريتانية، حيث يلتقي الرمل بالحرف، وتتعانق القوافل مع الذاكرة، تنهض مدينة شنقيط التاريخية شامخةً كصفحةٍ مفتوحة من كتاب المجد. ليست شنقيط مجرد حجارةٍ مصفوفة أو أطلالٍ صامتة، بل هي روحٌ نابضة بالعلم، ومحرابٌ للمعرفة، ومحطةٌ كبرى في دروب القوافل والحج عبر القرون.

اشتهرت شنقيط بكونها منارةً علميةً أضاءت غرب الصحراء، وموئلاً للعلماء والفقهاء، حتى غدا اسمها رديفًا للعلم والمحظرة، وحملت موريتانيا كلها لقب "بلاد شنقيط" اعترافًا بمكانتها العلمية والحضارية. وفي مكتباتها العتيقة، استقرت مخطوطات نادرة تشهد على عمق الإسهام الشنقيطي في الفقه واللغة والعلوم.

بعمارتها الطينية المتناغمة مع قسوة المناخ، ومسجدها العتيق الذي ظل شاهدًا على تعاقب الأجيال، تجسد شنقيط قدرة الإنسان على صناعة الجمال والمعنى في أحلك البيئات. إنها مدينة كتبت اسمها في ذاكرة التاريخ، وحافظت على هويتها رغم تقلبات الزمن، لتبقى رمزًا حيًا للتراث، وجسرًا يربط الماضي المجيد بالحاضر الباحث عن جذوره.

تأسست مدينة شنقيط في القرن الثاني الهجري (حوالي القرن الثامن الميلادي)، وكانت تُعرف في البداية باسم «آبير»، ثم ازدهرت لتصبح مركزاً تجارياً وعلمياً هاماً، وأصبح اسمها فيما بعد يطلق على المنطقة كلها، وقد شهدت فترة ازدهار كبير منذ القرن الثالث عشر الميلادي وتألقت في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، حيث كانت نقطة انطلاق للقوافل التجارية.

تحتوي شنقيط على عدد كبير من المخطوطات النفيسة والنادرة، لايزال بعضها محفوظاً حتى الآن عند بعض الأسر في شنقيط المعاصرة، وفي مكتباتها الخاصة، وهناك بعض المخطوطات التي يعود تاريخها إلى القرن التاسع الميلادي، وتتنوع مواضيعها بين علوم القرآن الكريم وأحكام الشريعة، والآداب والنحو والشعر والطب والفلك والعلوم الأخرى.

تشتهر مدينة شنقيط بمسجدها العتيق ومئذنته الأيقونة التي تشد الزائر والمستكشف والباحث على حد السواء، فهو يجمع بين البساطة والتناسق الهندسي الدقيق. وقد تأسس سنة 160 للهجرة.

ولاتـــة:

ذاكرة الصحراء وملتقى القوافل والحضارة

في أقصى الشرق الموريتاني، حيث تهمس الرمال بحكايات العابرين، وتختزن الجدران الطينية أسرار القرون، تتجلى مدينة ولاته التاريخية كجوهرة حضارية نادرة، وذاكرة حية لمسار الإنسان في الصحراء. ليست ولاته مجرد مدينةٍ عتيقة، بل لوحة فنية نسجتها القوافل، وكتاب مفتوح سطرته التجارة والعلم والتلاقح الثقافي عبر الأزمنة.

اليوم، تقف ولاته شامخة في وجه النسيان، تحرس تراثا إنسانيا ثمينا، وتروي للأجيال قصة مدينةٍ صنعت مجدها من رمل الصحراء، وحولت العزلة إلى إشعاع، فاستحقت أن تُخلَّد ضمن ذاكرة التاريخ وضمير الحضارة.

ولاته أو «ولاتن» صرح من مدائن التراث يقع في ولاية الحوض الشرقي ويبعد عن العاصمة نواكشوط 1350 كم، وقد أعلنتها اليونسكو موقعاً للتراث العالمي.

ويقول المؤرخون إن تاريخ هذه المدينة يعود إلى القرن الأول ميلادي حيث كانت تعرف ب «بيرو»، وتوصف خلال حقبة الملثمين ب إيوالاتن أو أيوالاتن، ومع مجيء الإسلام إلى الصحراء عرفت هذه المدينة ازدهارا كبيرا، حيث كانت محطة للتجارة والقوافل القادمة من الجنوب في أفريقيا والمتجهة إلى الشمال.

ومنذ مطلع القرن السادس عشر الميلادي عرفت مدينة ولاته بداية نهضة فكرية كبيرة، وأصبحت أحد أهم مراكز الإشعاع الثقافي العربي الإسلامي، وهاجر إليها عدد كبير من علماء مدينة تمبكتو، كما هاجر إليها علماء ومفكرون من فاس وتلمسان ومراكش، كما استقر بها بعض أهالي توات بجنوب الجزائر، وبعض العائدين من الأندلس عام 1492.

هذا الكم المتنوع من المهاجرين رفد المدينة بمصادرها الثقافية التي بقيت حتى الآن وسمح لها في نفس الوقت بأن تتحول خلال القرون الخمسة الماضية إلى منارة ثقافية وعلمية وعاصمة من عواصم الفقه المالكي.

تشتهر البيوت الولاتيه بفن عمارة خاص بها مستوحى من العمارة العربية الإسلامية خاصة منها الأندلسية والمغربية، ويبدو ذلك من طراز مواد البناء، وأنواع الزخرفة مع جنوح إلى البساطة بعض الشيء وميل إلى استخدام الخامات المحلية من فخار وجص وجليز وحجارة ملونة عالية الجودة تضمن قوة البناء وانسجامه مع المشهد البيئي العام للمدينة الذي وضع ولاته فوق مرتفعات الحوض جاثمة بجلالها كقلعة تحرس هدوء الصحراء وتتبرج بجمالها في وجه المرتفعات الشامخة. وقد حاول باحثون غربيون وموريتانيون تفسير معاني لوحات الفسيفساء التي تزيّن جدران ومداخل البيوت الولاتيه.

تيشيت:

مدينة القوافل والـذاكرة التــي تأبى النسيان

في الطرف القصي من ولاية تكانت في قلب آوكار العنيد، حيث تتهادَى الرمال على إيقاع التاريخ، وتتشابك دروب القوافل مع ذاكرة المكان، تبرز مدينة تينشيت كاسمٍ محفورٍ في سجل الصمود والتجارة والعلم. ليست تيشيت مجرد نقطة على خارطة الصحراء، بل حكاية مدينة ولدت من رحم القوافل، ونمت على عرق التجار.

شكلت تيشيت عبر القرون معبرا حيويا للتبادل التجاري بين الشمال والجنوب، فازدهرت فيها الحركة الاقتصادية، ومن بين أزقتها الطينية، ارتفعت أصوات العلم والمعرفة، لتؤكد أن الصحراء لم تكن يوما فراغا، بل فضاء نابضا بالمعرفة والحياة.

تأسست مدينة تيشيت في النصف الأول من القرن 6هـ/12م وإن اختلف في تحديد السنة بين 536هـ و544هـ، ولعل التاريخ الأول أكثر تداولاً وارتباطاً بالرواية القائلة بهجرة تلميذي القاضي عياض بن موسى السبتي (ت.544هـ): الشريف عبد المومن بن صالح، والحاج عثمان الأنصاري من أغمات، فانتشر عنهما العلم واتسع نطاقه قروناً عديدة، وكان قبل ذلك قاصرا على علوم الشرع دون آلاتها ومتمماتها على حد قول العلامة المؤرخ المختار بن حامدً.

وتقع تيشيت بين هضبتين على بعد 240 كلم إلى الشرق من مدينة تجكجة عاصمة ولاية تكانت، و600 كلم شرقي العاصمة نواكشوط.

ارتبط ازدهار المدينة بموقعها كمحطة على مسالك القوافل الرابطة بين مملحة الجل ومنحنى نهر النيجر، ودورها في تنظيم العلاقات التجارية بين شمال الصحراء وجنوبها الذي استمر حتى أواخر القرن 19م.

ونجد صدى لدور تيشيت التجاري المتميز خلال الفترة الحديثة فيما ذكره سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم (ت 1818/1233) من خروج قافلة تجارية ذات يوم من تيشيت مؤلفة من 32 ألف بعير من بينها 12 ألف بعير لأهل تيشيت. كما تشهد سجلات دار إيليغ المغربية على دورها التجاري الحيوي في القرن التاسع عشر.

وتقف مكتبات تيشيت اليوم شاهداً على ما عرفته من إشعاع ثقافي يجعلها اليوم تحتضن أهم مخزون وثائقي -كماً وكيفاً -في مدننا التاريخية.

ولمدينة تيشيت الأثرية 6000 مخطوط يرجع بعضها إلى القرن السادس الهجري. كما تشتهر المدينة بمتاحفها الصغيرة، في حين يشكل إقليم ظهر تيشيت جزءا من تشكيل الجرف الرملي الطويل الذي يحدد نهاية منخفض الحوض الشرقي.

الوكالة الموريتانية للأنباء
Agence Mauritanienne d'Information

مجلة الشعب
العـــدد 66
يناير 2026
تصدر عن الوكالة
الموريتانية للأنباء